أحمد بيضون

بيروت اللقاء

دار الباحث

أحمد بيضون

بيروت ـ اللقاء

سيناريو لفيلم روائي
في بيئة الحرب اللبنانية

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى ١٩٨٤

دار الباحث للطباعة والنشر والتوزيع
بناية إميل الأشقر - طلعة جنبلاط - كليمنصو
تلفون: ٢٦٨٥٢٥ - ٢٦٨٥٢٨ - برقياً: دالباحث
ص.ب ١١٣/٥٦٦٠ - بيروت - لبنان

إلى

فادية غبريل

رثاءً

بعد « المقدمة » تظهر على الشاشة العبارات التالية :

« في افلام من هذا الصنف يكتبون عادة ان اي شبه بأحداث جرت او بأشخاص وجدوا انما هو مجرّد صدفة . نضيف الى ذلك ما يلي :

١ ـ ان اية شخصية من شخصيات الفيلم لا تعبر ، بالضرورة ، عن رأي صانعيها . . بل تتحمل وحدها مسؤولية ما تقوله وما تفعله . .

٢ ـ ان اسماء القرى والأسر التي اعتمدت هي صدف لا غير . .

٣ ـ اننا ، عند الاشارة الى امور وقعت فعلا ، لم نكترث كثيرا لمقتضيات الدقة التاريخية . . » .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

المقطع الأول

صباح الهجرتين

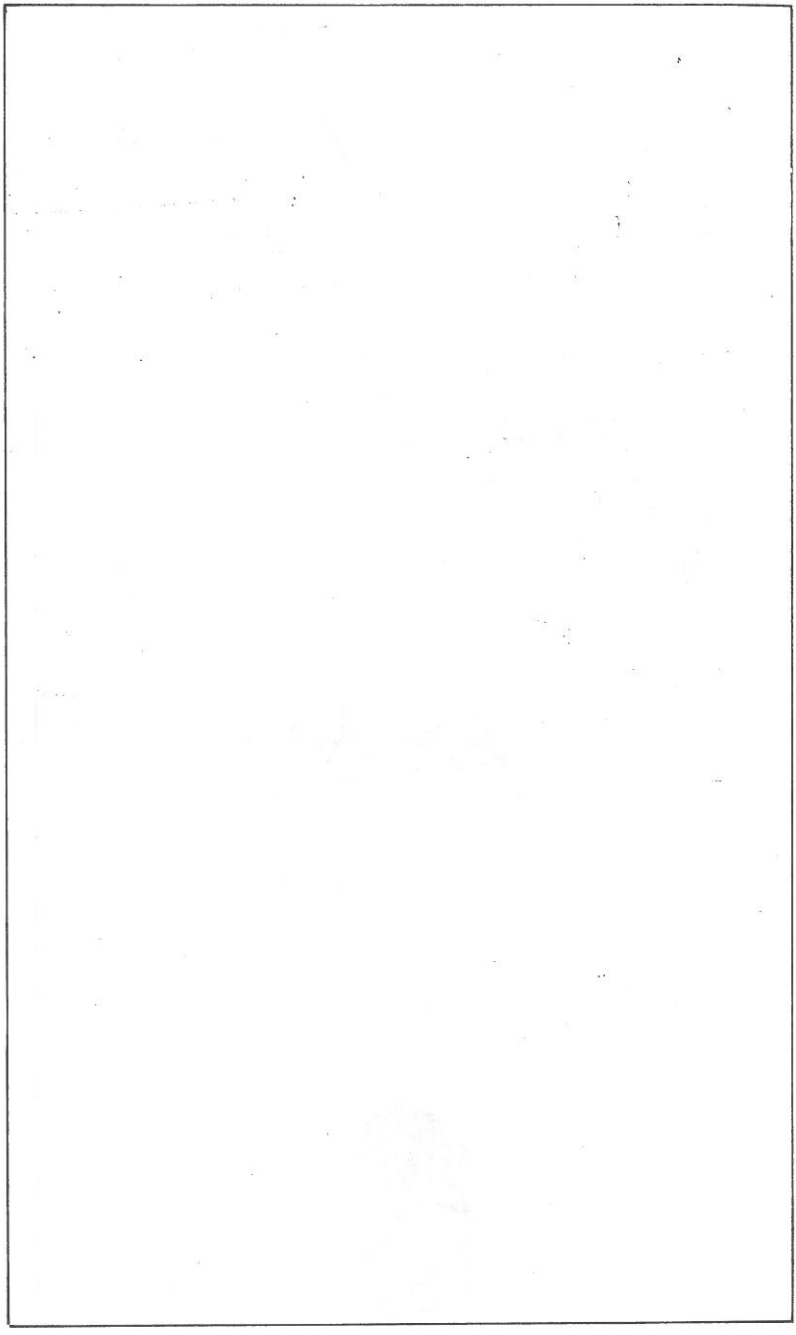

المشهد الأول

نهاري . داخلي ـ خارجي

العائلة المهجرة تباشر يومها .

المكان شقة في حي الصنائع البيروتي من بناء غير منته .

الشقة فخمة ولكن بلاطها غير مجلو وزجاجها غير مركب وجدرانها بلا طلاء . لا أثاث سوى الأفرشة وبعض الكراسي الصغيرة .

الزمان : ذات يوم من خريف ١٩٧٧ . . الصباح الباكر .

في غرفة اولى حيدر ينهض من فراشه . شاب تجاوز الثلاثين . في مشيته عرج ولكنه يمشي بنشاط .

في الغرفة الثانية مصطفى شقيق حيدر ينام ، في فراش واحد مع زوجته زمزم . . وعلى طراحة، طفلهما الذي ما زال في سنته الاولى . مصطفى يصغر حيدرا بثلاثة اعوام او اربعة . . اما زمزم فصبية لم تتجاوز عتبة العشرين .

استيقظ حيدر على ضجة الرفوش تجمع النفايات . . خرج الى الشرفة من باب « مغلق » (لا زجاج له) . . واخذ يرقب الحي وهو

يستيقظ . . هنا وهناك فجوة من قذيفة تم اصلاحها او بقيت بلا اصلاح . تبتعد سيارة البلدية تاركة نصف النفايات خلفها . . وناثرة قسما منها خلال سيرها .

يضع ركوته على النار في المطبخ .

المطبخ واسع والادوات فقيرة لكنها جديدة . . يحلق لحيته في حمام فخم ، ولكن حنفياته لا تجري . الماء في الحوض ينقل بواسطة تنكة موضوعة على حافة المغسلة .

خلال الوقت نفسه يتوضأ مصطفى في حمام آخر . . ثم يؤدي صلاته . بعد ذلك يضاجع زوجته وهي شبه نائمة . يعودان الى النوم شأن من لا عمل لديه يشغل به يومه . هذا بينما يواصل حيدر التدخين وافراغ ركوته الكبيرة ، والنظر دون اقتناع في صحف قديمة ملقاة من حوله . يحاول المشهد ان يقول الطابع الفارغ لحياة يومية يبدو كل شيء فيها مؤقتا وغير منته الى هدف ما . . ولكن هذا المؤقت طويل . . متماد . . لا ينتهي .

يرفع حيدر جريدة عن اخرى . يلمح عنوانا : « **اليوم تعود الاتصالات الهاتفية بين المنطقتين الشرقية والغربية من بيروت** » . . يهرع الى جيوب ثيابه المعلقة على مسامير في زاوية الغرفة . . يفتش قطعتين او ثلاثاً قبل ان يعثر على مفكرة قديمة . يقلبها ليعثر فوق احدى صفحاتها على اسم : زينة اسطفان ـ وتحته عنوان في الأشرفية ورقم هاتف .

يبدأ المشهد صامتا . . ولا يلبث ان ينطلق صراع متعثر بين صوت الرفوش وهي تضرب الارض ، ونغم تجريبي يخرج من الآلة

التي ستصاحب « الرندحة » من الآن فصاعدا (عود ؟ ناي ؟ رباب ؟) ومع النغم صوت (تجريبي ايضا) يقول : « يا بلد ! » مرندحا . . نبقى في حالة التجربة . . الى حين انصراف شاحنة النفايات . . فيبدو اذ ذاك ان الآلة والصوت قد امتلكا اللحن وبات في وسعهما ان ينطلقا معا .

صوت : يا بلد !

قربي ريش الهوا المستوحش بهالدار

نرسم ولد

تا نسألو

شو قصتك ؟

قرب العيد

وما نطر

ترجع عهيك الدار

وتقول جينا عالبلد

يعني اليوم العيد

عيّد يا ولد .

نرسم ولد

راكض بتمّو ميّ عم يسقي الفرس

ويصرخ يا امي وصار

بينرسم عا بقعتين

تاركهن بفخدو الجْبار

يا بلد يا عيد

ما عاد فيكي سنكري

يعمل بإيدو فرودة الفلين

تيهيّصو زغارك نهار العيد ،

ويعمل النواصات

اللي تصيح من عظم المصاب بليل عاشورا

ما عاد فيكي عيد

وغفّت على البيدر الجبّاني

وراحت القهوي

ما بقي للمرحبا

الا طريق السوق بعد الصبح

وقبل المسا ساحة الجباني

يا بلد !

يا عمر ساعة معطلي

يا وقت اسمو معارفة الوجوه

يا بلد يا عيد !

المشهد الثاني

نهاري　　خارجي ـ داخلي

تعبر الكاميرا بيروت . . على شارع فؤاد شهاب . . سيارات قليلة تنعطف قبل بلوغ « الرينغ » المقفل بالحجارة . . ثم تدخل الكاميرا من طرف الرينغ الآخر المقفر الى الاشرفية لتصل ببطء الى منزل آخر . . مختلف تماما . . « منجز جدا » في بناية من بنايات الاشرفية القديمة « العريقة » . . الهاتف ورقمه عليه وهو الذي رأيناه في المفكرة . زينة ما زالت نائمة ، وكذلك اخوها وامها . . اشياء المنزل تقول انه مستقر تأسس قبل ثلاثين سنة او نحوها وما زال على حاله . زينة على عتبة الثلاثين . . اما جورج فبعد العشرين بقليل . . والوالدة في اواخر خمسيناتها . . ينام كل واحد من الثلاثة في غرفة . . ثياب زينة بين الحقائب والمقاعد ، واشياؤها منثورة شأن من يتأهب لسفر . . في مواجهة السرير خزانة صغيرة للكتب . وفوقها راديو ـ كاسيت . سلاح جورج معه في غرفته . العائلة متوسطة الحال . مع المشهد هذه الابيات :

صوت : ونهرب ونتمشى ورا « كروم الرضا »

نمشي تيمشي العمر . .

وللليوم ما استرجيت اكتب اسمها

اللي كنت غنيلا

والله بيقتلوني !

مش وقتها يعني

بلا هالولدني

يقولوا هربت من البلد

من اوشم الموتات

تايقتلك اسم اللي كنت تحبها

من شي سبعتعشر سني .

المشهد الثالث

نهاري داخلي

في غرفة مصطفى وزمزم ، طوي الفراش الآن ليصير صالحا للجلوس وجيء بالفطور على صينية . . جاء حيدر بكرسيه ، وجلس . . بينما زمزم ومصطفى جالسان على الفراش . . تبادل الجميع ابتسامات طيبة دون تحية . . الطفل لا يزال نائما . . بدأوا الاكل . .

حيدر : طيبة اللبنة اليوم . . شو صاير بالدنيا ؟

زمزم : انا دبرت كيس ، وروّبت لبن وقطعت لَبْني . . بس حليب بودره . .

حيدر : عال . . والله يا زمزم . . ما صار لك عشرة ايام ببيروت . . وبلشتي تتبيبتي . .

مصطفى : والله يا خيي مش هيئتنا راجعين على عديسة بكره ولا بعد شهر ولا بعد سني .

حيدر : (كما لنفسه) : مش هيئتنا . .

مصطفى : . . فأحسن الواحد يدبّر امورو . . كيس لبني من

هون . . بطانيي من هون . . الله يعيننا على هالشتويي . .

زمزم : بدك تسألو اليوم لقاسم ابن ام قاسم عن المشمعات .

حيدر : شو المشمعات ؟

مصطفى : (لـزمـزم) : سـألتـو مبـارح ، قللي روح خـدن . . (لحيدر) قاسم كان قايل لي انو بعد فيه عندن من هيدا المشمـع اللي كانو حاطينو محل القزاز . . بيعطونا ياهن . . كاينـين بعدن شـايلينن من لما ركبوا قزاز . .

حيدر : عال ! . .

مصطفى : (مبتسما) عـال طبعا . . كلو عـال ما زالـك تعودت عالَبْنة البودرة يا حيدر بك . . ما زالو ابن ام قـاسم صار زعيم الحي خلينا نجبلنا بقرة نرعاها بجنينية الصنايع ! . . (يضحك بينما يبقى حيدر وزمزم صامتين) .

زمزم : ليش حيدر ما كانش معـود عالبنـة البودرة ؟ . وهـالسنين اللي مضاها ببيروت ؟ . . ما شايفو بقي ساكت عـالضيم؟ . . ما قـال شي عن لبنـة الدكـاني حتى لقينالـو لبني احسن بشوي . . الـلي لازم يتعود هوي جنابك . .

مصطفى : صعبه والله . . بس شو بنعمل ؟

زمزم : شو بتقـول عني ؟ والله انا بحيـاتي كلها مـا كنت قاعـدي جمعة ببيروت . . يلعن ابوها على ابو عيشتها . .

(تحين من حيدر التفاتة الى كومة من المجلات في زاوية الغرفة . . تظهر عليه الدهشة لكثرتها) .

حيدر : (مصفّرا) وْلُو مصطفى . . لشو كل هالمجلات؟ (يمسك واحدة ويفتحها) .

مصطفى : (بينما يقلب حيدر المجلة ويتململ الطفل فتعكف زمزم على اسكاته) : هودي جابهن قاسم . . هوي التنظيم مكلفو يوزع المجلي بالحي . . مرات بيعطيها لها لشبيبات يوزعوها . . مرات بيكمل مْرُوي وبيوزعلو بشي بنايتين . . شو صاير عليه . . بيطلب ثلاثين متر مشمع بيعطوه ستين . . بعدين قززولوا البيت . . بتعرف شقة مثل هالشقة شو صارت تكلف قزاز اليوم ؟ ولا الفين ليرة ما بيكفوها . . (لزمزم عن الصغير) خليه يفيق ! شو بدك فيه ؟

زمزم : اذا فاضيلو انت فيّقو . .

حيدر : (كأنه لم يسمع ما قاله مصطفى . . ما زال ينظر في المجلة . . يعيد بصوت عال قراءة جملة) « وحين يخرج لبنان من الصراع علمانيا ديمقراطيا موحدا لن يبقى فيه مكان لمناطق شرقية ولا لمناطق غربية . . » (يضحك بمرارة) والمناطق الجنوبي هيئتها رايحة عا كل حال . . بيصير البلد كلو شمال . تاينبسط قاسم افندي . . انشاء الله رح توزعها هيدي يا مصطفى ؟ . .

مصطفى : انا قلتلو لقاسم يجيبها كل جمعة . . بوزعلو ياها . . هوي على بساطتو إجا بدو يعطيني شي عشرين نسخة على عدد العيَل بالبنايي . . قلتلو هات لك خمسين ستين . . لكل عيلة ثلاثة ، بيقروا وحدي وبيضيّفوا تنتين . . اسم الله عا ام قاسم وعلى خلفتها . . شو هالزرعة !

حيدر : خلينا بقاسم . . ما خصك بأمّو . . يعني . . (مفكرا)

زمزم : (مقاطعة حيدراً) والله انا بقول انو شو ما كان الحال قاسم مش لازم نزعلو . . (لمصطفى) انت مفكر حالك ازكى منو ؟ . . بس والله هوي اللي دبرنا مش انتي . . لولا ما يلاقيلنا هالبيت كنا تشردنا ببيروت . . (لحيدر ، متخوفة من ان يكون وراء اعتراضه حكمة لا تدركها) طيب ليش ما بدوش يوزعها للمجلي . . فيه سبب يعني ؟

حيدر : (الذي كان قد عاد الى النظر في المجلة) يا زمزم . . يا عيني . . ليش طلعنا من الضيعة نحنا؟ . . إذا بدنا نيجي لهون نشتغل مع الميليشيات . . ما كلهن مرقوا علينا هونيكي بالدور . . لو قبلنا نقعد ورا المدفع مع اللي اجو بالأخير كنا بقينا ببيتنا . .

زمزم : يعني هيدي مجلي . . اللي بدو بيقراها واللي بدو . .

مصطفى (مقاطعا) . . واللي بدو بيحطها عالمجلي . . انت الجريدة اللي عم ندفع حقها بنفقدها المغرب تانتسلى فيها بنلاقيها صارت عالمجلى . .

حيدر : (لزمزم) فيه شي اسمو كلام بينقرا وفيه شيء اسمو دعوسي . . هيدي جزمة مش مجلي . . انت سامعه ؟ . . لا مكان لكذا . . ولا مكان لفلان . . بالزمان لما كنا للجامعة كنا نكتب عاحيطان بيوت المي : « لا مكان لفلان » ، بيجي فلان يجاوب انو لا مكان النا نحنا . .

مصطفى : (الذي عاد يتناول طعامه بشهية) : خلينا نعرف ناكل . .

حيدر : لا مكان لها الحكي عالاكل . . معك حق ! . . (متابعا

باصرار) كنت عم قول انو ببيت المي اذا كتبت لا مكان لفلان مفهومي . . لانو بيت المي ما بيساع تنين . . بس هيدا حكي بينحكى بمجلّي ؟ يعني هيدي مجلي ما بتنقرى عالاكل . .

زمزم : (ممازحة مصطفى) يعني يا بوصطيف عالمجلى ما بتسوى كمان . . بتطلع ريحتها بالاكل . . شايف خيك الاستاذ ما بدوش يخلي باب ضَوْ . .

حيدر (متابعا لزمزم) بعدين لو انا وزعتها هيدي المجلي . . بيقولو الناس معليشي . . هيدا كان حزبي وبطّل وهلق رعاه جلدو وعاود رجع . . بس جوزك كاتب قلم نفوس . . والناس هوني ولاد منطقة . . ما فيه حدن الا ما بيعرفوا مثل ما بيعرف تذكرتو . . وبيعرفوا انو بحياتو ما تدخل بالسياسي . .

زمزم : ليش البيك مش سياسي يعني ؟ نحنا جماعة دراويش عسياسة البيك . .

حيدر : (لمصطفى) صوتلو مرة للبيك ، كنت تطلعلك مشوار بالسنتين عالدار . . بعدين البيك بذاتو ما عدش طلع . . فيه شي غير هيك ؟ .

مصطفى : بزيادة هيك . . تعبت قلبي كثير . شو الي بالدار ؟ . هيي كفة شر ، الطلعة مش اكثر . . دفع بَلا عنا وعنكن مثل ما بيقولو . .

حيدر : عن حالك بس . . انا ما كلفتك . . عا كل حال انت هلق ابن ثلاثين سنة . . لما بتيجي بدك توزع مجلّي حزبيي بها الايام شو رح يقولو غير انك بلشت تقبض . .

زمزم : (حادة) لاء هيك فشروا . . نحنا بنوزع كرمال ابن بلدنا . . ولو بلاها هالشغلي كمان يا مصطفى ؟

مصطفى : (وهو يمسح يديه من الطعام ، وقد بدأ يغضب، ولكن حدته مع اخيه هي حدة الولد في مواجهة والده) والله يعني هالجماعة مش بس البنايي ، الشارع كلو بأيدن . . ما بنقدرش نسكن هون ونعاديهن . . كل ساعة فيهن يسألونا : مع مين كنتو حاملين سلاح بعديسة ؟ . . بتقلهن غصبن عني ؟ عال . . بس والله فيهن يفهموا وفيهن ما يفهموش ، ما حدا بيجبرن . .

حيدر : (مشيحا بوجهه كأن الحديث لم يعد يعنيه) : عمرهن ما يفهموا ! . .

مصطفى : (متابعا) : بعدين يعني خدمونا الجماعة . . ما بنقدرش نطلب منهن مية خدمي . . ولما هني يطلبوا خدمي زغيري نقلهن لاء . هلّق رح يركبوا موتير تايوصلوا مية البير عالطوابق . . مش احسن ما المرا تظلها طالعة نازلي عالدرج ؟ . .

زمزم : (محاولة ارضاء حيدر) ما خصني انا بينك وبين خيك . . مش زعلاني زق مي من هلق لتقوم القيامي . . نعمة من الله اللي لينا نوصل للميّ . .

مصطفى : (مكملا كأنه لم يسمعها) : اذا انت ما بتعنيك مالأمور ، انا من جهتي مجبور فكر هيك . . يعني . . مش كل ما تفتني منيح مع جماعة تيجي تقللي بيت مي . . ما . . كنا شاخين عا حالنا بالبلد ! . .

زمزم : (متخوفة من هذا الاستفزاز لحيدر) بس يا مصطفى !

حيدر : (واقفا بهدوء ، جزئيا لنفسه) : عم شوف كأنو ما طلعنا من الضيعة لنفس الاسباب . .

مصطفى : يمكن ! . .

زمزم : بس يا مصطفى ! (يبكي الطفل ، فتضع له اللهاية وتتجه الى المطبخ ـ للطفل) ما بيصيرش الا بدك تقوم؟ يعني ما حداش ناوي يهَدِّيلي بالي اليوم . .

حيدر : (بينما يواصل الطفل الصراخ) ما حكيناش كفاية يمكن قبل ما نترك بيتنا ونطفش هالطفشي عبيروت . . بيجوز انت وزمزم حملتوا إبنكن وجيتو معي حتى ما تتركوني اهرب لوحدي . . هلق عم شوف انو يمكن كان احسن اهرب لوحدي وانتو تبقوا بالبيت . . ولو بدي موت هون . .

مصطفى : (مهادنا) نحنا فدا ظفرك ، انا ومرتي وابني . . شو عم قول أنا ؟ . . عم قول يعني انو الضرورة الها احكام . .

زمزم : (عائدة من المطبخ وبيدها قنينة حليب) فيه واحد عم بيعَيِّط لجارنا تا يروحوا يجيبو أعاشي . . بس ما عرفتش منين . . ليش ما بتنزلش تسأل يا مصطفى ؟ . .

تباشر زمزم اطعام الطفل . . بينما يخرج حيدر منكسرا ويتحاشى مصطفى الاجابة ويبقى جالسا في وجوم . . .

المشهد الرابع

نهاري **داخلي ـ خارجي**

ينزل حيدر درج البناية غير المبلط . . ابواب الاسانسور غير مركبة

ومغلقة بخشب . . اولاد يتراكضون في الدرج وزمزم تصعد حاملة سطلا بيد وغالونا بالاخرى . تبتسم له :

زمزم : اذا ظاهر بدي غرضين . .

حيدر : لاء راجع . . هلق بشوفك . . بعدين رح نروح انا ومصطفى نشوف الأعاشة .

زمزم : (مكملة طريقها) : طيب .

يصل حيدر الى المدخل الذي نرى فيه بعض مواد البناء . . غرفة الحارس مقسومة الى اثنتين : في الداخلية سرير وكرسي ، يظهر ان من باب الغرفة المفتوح . . وفي الغرفة الخارجية طاولة وكرسيان آخران . على الطاولة تلفون . . الحارس على كرسيه في الغرفة الداخلية يتناول فنجان قهوة . . ثيابه خلفه على الكرسي ، وهو لا يزال بالبيجاما . . كلاشنكوف مسند الى حافة السرير . يقف حيدر بالباب مبتسما .

حيدر : صباح الخير يا مهنا . .

مهنا : (يقوم عن كرسيه نصف قومة) : اهلا ، استاذ ، اهلا . . شَرِّف القهوي حاضرة . .

حيدر : ممنونك ، شربت . . بقدر تلفن؟ . .

مهنا : يعني ! جرّب استاذ ! على الله بيجي خط .

يمسك حيدر السماعة ويقف حيث لا يعود الحارس يراه وينتظر . . ينفخ في السماعة (بسذاجة واضحة) ويهز الهاتف . . اخيرا يبتسم منتصرا :

حيدر : اجا الخط يا مهنا .

مهنا : عجيبي يا استاذ ! ايدك بَرَكي . . على الله تعلق النمرة !

المشهد الخامس

نهاري داخلي

زينة في منزل اهلها ، وهي ما تزال بالروب . . معها في الصالون جورج ووالدتها . صورة لوالدها ، متوسطة الحجم ، تحتل ركنا من الطاولة في صدر المكان ويطوّق زاويتها شريط اسود . . معها ايضا سيدة في عمر والدتها . . والقهوة امام الجميع يتناولونها . . تأخذ السيدة من حقيبة يدها كاسيت وتعطيها لزينة :

السيدة : قلنا بيكون معك حمولة كثير ما حبينا نتقل عليكي . . بس هالشريط سجلنا عليه انا وحنا جواب للولاد : . هني بعتوا لنا واحد الشهر الماضي . . عنوانهن مكتوب عالصندوقة وخيك الحكيم مؤكد بيعرف محلهن .

زينة : تكرم عينك يا طانط . . انا بدي خدمة اكبر من هيك .

السيدة : يرحم بيك يا حبيبتي ويسهل امورك (مبعدة فنجان القهوة) انشا الله بنشربها بفرحك وفرح جورج . .

الوالدة : تفرحي من المحروسين . . شرّفتي .

مع عبارات المجاملة الاخيرة يرن جرس الهاتف الموضوع الى جانب زينة . . ترفع السماعة وتأخذ الكاميرا تنتقل بينها وبين حيدر :

زينة : الو نعم ! . .

حيدر : مرحبا زينة .

زينة : (بشيء من الاضطراب) : مين ؟

حيدر : حيدر . .

زينة : لحظة زغيري (لأمها) رح احكي من جوا .

تضع السماعة وتهرع الى غرفة النوم : تأخذ السماعة وتجلس على السرير .

زينة : بعدك عايش انت ؟ صار لي مدة كل يوم بتذكر انو رح يصير لي ثلاث سنين ما شفتك ! انت ساكن ببيروت ولا مارق هيك ؟

حيدر : صار لي عشرة ايام هون . . تهجرنا . . الحقيقة هربنا . . قبلها بقيت عشرة اشهر محبوس بالضيعة . . ما جيت عبيروت ابدا . . بالستة وسبعين كنت اجي قليل . . بس كان عندكن حرب وما كان فيه تلفون بين الغربية والشرقية . . اليوم قريت بجريدة مبارح انو صار يمشي . . وهياني . . شو اخبارك انت ؟

زينة : مسافرة بكره . . لو تلفنت بكره ما لقيتني . .

حيدر : مسافرة لوين ؟

زينة : عا اميركا لعند خيي . .

حيدر : (بشيء من الوجل) : على طول ؟

زينة : يعني . . عا كل حال مدة طويلة . . ناويي اشتغل . .

حيدر : صدمتينا هيك . . طيب تركتي الوظيفي ؟ . . والماجستير

خلصتيها السني ؟

زينة : بالوقت الحاضر اخذت ست اشهر اجازي من المدرسي . . وباليسوعيي جددت تسجيلي السني بس ما حضرت الا مرة وحدي . . تخانقت انا والاستاذ خناقة مْطنْطني . . وحسيت انو ما عاد فيي كمل . . بعد منها طليت مرتين يوم الجمعة . . مش حتى احضر . . كان بدي شوف اذا انت عم تيجي . .

حيدر : انا مثل ما عم قلك لا جددت ولا رحت . . هلق كيف بدي شوفك ؟ . . ما بيصير تفلي وما شوفك . .

نعود لحظة الى الصالون لنرى السيدة الزائرة تودع مغادرة . في غرفة النوم تنتبه زينة الى الكاسيت الذي ما يزال في يدها ، فتضعه بجانب الهاتف وتتابع وهي تتأمل العنوان المكتوب عليه :

زينة : مَيّتي لشوفكْ انا . . عيش بهالنعمي ! . . فيه اشيا بدي قلك ياها . .

حيدر : انا مشتاق . . فكرت فيكي كثير . . ضيعانك تفلي . .

زينة : انا كنت اتذكرك من وقت لوقت . . ما اشتقلك يعني . . مرات خاف عليك . . مرات قول يمكن تغير كثير وما عاد فينا نحكي . . بس لما صار يقرّب سفري بلشت اتسرسب فيك . . بدي شوفك . . جنون يعني . .

حيدر : تغيرت انا طبعا . . في حدن ما تغير ؟ . . انت كمان اكيد . .

زينة : مرتين او ثلاثي تخيلت حديث طويل عريض بيني

وبينك . . في اشيا تخيلت حالي عم قلك ياها . . بتذكرها كأني قلتها عن جد . . لازم قلك ياها . .

حيدر : عال . . اذا بعدك حابي نحكي . . هيدا شي ما تغير عالقليلي . .

زينة : من زمان حاسي كأنو صوتي مش الي . . واليوم كنت عم بسأل حالي مع مين بدو يطلع صوتي . . حتى انا ، عالقليلي ، اعرف شو حابي قول . . بأميركا صعب اقدر احكي . . بتعرف انا والانكليزي بيبعت الله . . عاكل حال اللي بدي جرّب قولو ما بيعدلو ذات المعنى هونيك . .

حيدر : بتجي عالغربية ؟

زينة (مفتعلة الغضب) : هون بيقولو ما بنروح الا اذا تحررت . .

حيدر : (متحببا) : انت بتقولي هيك كمان ؟ . .

زينة : انا رحت كثير السني . . من زمان ما عدت عارفي مين رح يحرر شو . . كلن بيروحو . . بس الحقيقة اليوم ما فيه وقت روح عالغربيي . . بعد فيه اشيا لازم اعملها وناس بدي شوفن . . بقدر اهرب شي ساعتين من البيت بعد الظهر اذا انت بتيجي عالأشرفيي . .

حيدر : ما لازم خاف ؟

زينة : ابدا ! من شو ؟ ماني شي هلق . . انت وين ؟

حيدر : صوب الصنايع .

زينة : جسر فؤاد شهاب مسكر . . بتيجي عن السوديكو . . ما في شي ابدا . .

حيدر : بعدك بتحبي الرمان بالصودا ؟

زينة : اي . . القهوي بعدها . . اول مبارح مرقت من قدامها . . كان صار لي زمان كثير ما عرفت شو صار فيها . . بنلتقي هونيك الساعة تنتين ؟

حيدر : تنتين عال . .

المشهد السادس

نهاري **خارجي ـ داخلي**

حيدر ومصطفى على الرصيف امام احدى المدارس بين جمهور الراغبين في الحصول على معونة غذائية . . حيدر يقف جانبا . . بينما مصطفى يزاحم . . ومع خروج شخص او اثنين حصل ـ او حصلا ـ على اكياس « اعاشة » ، يتمكن مصطفى من الدخول الى المدرسة . . ثم يتقدم الى باب قاعة الاحتفالات التابعة للمدرسة ، حيث يوقفه الحراس بانتظار دوره . .

داخل القاعة ، الكراسي متراكمة بعضها فوق بعض في حالة فوضى . . منصة واسعة في صدر القاعة هي « خشبة المسرح » في العادة ، او منصة الخطابة . . عليها الآن طاولة طويلة مكونة من طاولتين او ثلاث متلاصقة . . في زاوية من زوايا القاعة كومة من الاكياس النايلون الشفافة معبأ فيها حصص من المواد الغذائية . . في كل كيس اكياس اصغر منه وعلب . . يبدو عدد الاكياس حقيراً بالقياس الى اتساع القاعة . . مئتا كيس مثلا . .

على المنصة يجلس خلف الطاولة اربعة اشخاص بينهم فتاة ، وكأنهم هيئة محكمة . مسلح يقف خلفهم وآخر يقف في اسفل الدرج الصغير المؤدي الى المنصة . ثمة مسلحون آخرون في القاعة يتمشون (اربعة او خمسة) وشاب وفتاة يقفان قرب الاكياس ويتوليان التسليم . . على باب القاعة من الخارج ، حيث يقف مصطفى مشاهدا ، مسلحون آخرون يتولى اثنان منهم تنظيم المرور الى الداخل . بينما يتمشى الآخرون بين باب القاعة وبوابة المدرسة . ويقف إثنان منهم ايضا لتنظيم المرور من البوابة . هذا يرفع عدد افراد الجهاز المكلف بالتوزيع الى حوالي عشرين شخصا معظمهم صغار السن . . بين مسلح ومدني . بعض المسلحين يرتدي ثيابا مدنية وينقل مسدسا فقط . . اما الجمهور فهو كبير . . او انه يبدأ كبيرا على الرصيف خارج المدرسة ، فيزدحم عند البوابة التي هي بوابتان : الكبيرة منهما مقفلة والصغيرة ينظم المسلحون الخروج والدخول منها . . اما في الداخل بين البوابة وباب القاعة فثمة عشرون شخصا من الجمهور او اكثر بقليل يزدحمون محاولين الدخول الى القاعة . . في القاعة نفسها خمسة او ستة اشخاص من الجمهور : اثنان امام درج المنصة ينتظران . . اثنان امام اللجنة . . اثنان يتسلمان « الاعاشة » . . يبدو على الجمهور كله الطابع الجنوبي ولكن بلا مبالغة . . كوفيات قليلة ، بعض اغطية الرأس للنساء اللواتي يتراوحن جميعا بين اعمار متقدمة واعمار متوسطة : لا صبايا . . بين الرجال شبان ولكن معظمهم ايضا ممن تجاوزوا الثلاثين . . النساء هن الاكثر اهتياجا امام البوابة ، ولكن ايا منهن لم تصل الى الداخل . .

يتم التوزيع بالطريقة التالية : بعد مرحلتي الدخول (الى المدرسة

فالى القاعة) يقف الواصلون القلائل صفا صغيرا امام درج المنصة الذي يصعدونه اثنين اثنين . يحمل كل وافد كومة صغيرة من تذاكر الهوية ، يتسلمها منه الشاب الجالس الى يمين المنصة : يدقق في التذاكر (ليتأكد من انتماء اصحابها الى اسرة واحدة) ثم يعطيها الى الفتاة التي تبحث في سجلها عن الصفحة المخصصة لاسم القرية (السجل ضخم) وتنقل الاسماء عن التذاكر . . تعلم الفتاة الشخص الجالس عند طرف الطاولة الآخر (الشخص الثالث الجالس بجانب الفتاة يكتفي بمراقبة ما يجري) اسم رب العائلة وعدد الافراد ، فيتولى هذا الشخص ملء قسيمة يسلمها الى « الزبون » . . يجتاز الزبون المنصة بعد استعادة « تذاكره » من الفتاة وتسلم قسيمته (تستعرضه اللجنة) ويهبط درجات السلم الصغير الى القاعة . .

في هذا كله تعمل اللجنة ببطء وتأمل عميق . . يطرح اعضاؤها اسئلة مقتضبة على الزبون ويتشاورون فيما بينهم ويهزون رؤوسهم شأن من يتوصل الى قناعات هامة . . في الجو اذن رائحة محاكمة . . ولكن حين يكون الزبون ما زال في اول « عبوره » امام المنصة ، يكون الشخص الثالث وجاره المولج به ملء القسائم يتسايران ويتضاحكان . . فلا تظهر الجدية الا عندما يصير الزبون طرفا في العلاقة .

في القاعة يتوجه الزبون الى حيث توجد الاكياس . . تتسلم منه الفتاة القسيمة وترميها في تنكة موضوعة على كرسي . . بينما يسلمه الشاب ، بناء على اشارة الفتاة ، حصته في عدة اكياس (تبعا لعدد افراد العائلة المسجل في القسيمة . .)

هذه الآلة المعقدة يظهر الخلل فيها من الجانبين : جهاز الاشراف

وجمهور المستفيدين . . يخرج الشخص الذي تسلم حصته ، فيدخل عوضا عنه خمسة او ستة الى الباحة قبل ان يتمكن المسلحون من اغلاق البوابة في وجه الجمهور المتزاحم . . احد المسلحين يوبخ الداخلين مشيرا باصبعيه الى ان اثنين فقط كان ينبغي ان يدخلا . . ولكنه يبدو عديم الحيلة امام الذين صاروا في الداخل . . امرأتان تتحدثان الى مسلح آخر من بين قضبان البوابة الكبيرة ، قريبا من حيدر . . يأخذ هذا تذاكر الهوية من احداهما . . نراه على المنصة يقوم بالاجراءات اللازمة عنهما خارقا الدور . . الرجل « المسؤول » يؤنبه دون اقتناع . . ولكنه يتسلم القسيمة اخيرا . . نراه يخرج بالحصة من امام مصطفى ويلقي بها للمرأة والصبية من فوق سور المدرسة (يراه مصطفى من داخل الباحة وحيدر من خارجها) .

مسلح آخر يُسِرّ هذه المرة بكلام الى « المسؤول » نفسه قبل ان يبدأ المعاملة . وهذا يتسلم منه بنفسه ، ودون اي سؤال ، تذاكر هوية يعطيها مباشرة للفتاة . . ثم يسرّ الى كاتب القسائم بشيء فيملأ هذا قسيمة للمسلح . . داخل القاعة ما زال الدور على حاله ، منذ مرور المسلح الاول ، نتيجة لهذا الخرق . . المسلح الثاني ، في الخارج الآن ، يلقي الى رجل تبدو عليه بعض الاناقة ، بأكياس من فوق السور ، وهما يتضاحكان . . بينما يتجادل اشخاص من الجمهور مع حرس البوابة مشيرين اليهما . . ويستفيدون مرة اخرى من خروج « زبون » جديد ليندفعوا بكثافة كبيرة عبر البوابة ، متحدين المسلحين الذين يحاولون ردهم بالأيدي والبنادق . . هرج ومرج عامان . . يخرج المسلحون من القاعة قبل ان يتمكن الجمهور من الوصول اليها . . يغلقون بابها ويتجمعون امامه مع حراسها معلنين وقف التوزيع ، ويتقدم بعضهم نحو الجمهور مشاركا في رده . . مصطفى الذي كان

في باب القاعة عند اغلاقها ، شاهد « المسؤول » يتناول الميكروفون من جانب المنصة . . وفهم من حركات يديه ان التوزيع توقف . . يعود مصطفى الآن الى حيدر خالي اليدين ، وكان هذا الاخير قد اجتاز الشارع واستند الى حائط ملاصق للرصيف المقابل . . وهو ينظر الآن ، بسخرية واشمئزاز الى مكبر الصوت المعلق فوق واجهة المدرسة . . جميع الذين ما زالوا في الشارع يتأملون لحظة مكبر الصوت هذا . . ثم يبدأون بالانسحاب .

المشهد السابع

نهاري داخلي

زينة مع امرأة مسنة جدا . . سيتضح لنا فورا انها جدتها . . في غرفة جلوس ذات اثاث قديم ومتهالك . . على الجدار صورة كبيرة للعذراء . . وعلى الجدار الآخر صورة كبيرة ايضا للشخص نفسه الذي رأينا صورته في صالون زينة (والدها) . . على زاوية الاطار الشريط الاسود نفسه ولكن الصورة هنا اكبر حجما . . وبجانبها صليب كبير معلق . . الزيارة وداعية . . العجوز تبكي بينما زينة تطيب خاطرها وتمسح لها دمعتها . . تطلب منها تعديل جلستها . . ثم تلتقط لها صورة تذكارية . . اخيرا تعانقها مودعة . .

المشهد الثامن

نهاري خارجي

في الشارع زينة المستعجلة تنظر الى ساعتها وتهرع لتدخل الآن محلا لبيع الحقائب (يعرض قسما من بضاعته على الباب) .

المشهد التاسع

نهاري　　خارجي

حيدر مع مصطفى امام بحر الزيتونة يدخنان بهدوء . . المارة والسيارات يقلون كلما اوغل النظر الى الجهة المتصلة بوسط المدينة . . يتقدم مصطفى من بائع خضار وفاكهة عابر ويغرق معه في جدل حول الاسعار . . هذا بينما يبقى حيدر وحده مديرا ظهره للبحر يتأمل ساعته بارتخاء وينظر الى معالم الخراب . . يقدم البائع لمصطفى حبة فاكهة على سبيل الضيافة ، بعد أن كسب هذا الاخير وده ، ويتابعان حديثا ضاحكا وحارا . . وقد نسيا حيدرا .

المشهد لعاشر

نهاري　　داخلي

زينة في محمصة لبيع البن والنقولات . . اشترت كمية هائلة من البن المطحون والفستق الحلبي (لا تقل عن خمسة كيلو غرامات) وهي الآن تضع الاكياس في الحقيبة التي كانت اشترتها من محل الحقائب . . هذا بينما يقدم اليها عامل الطحن الكيس الأخير ، ويرد لها المحاسب بقية اوراق مالية . . تبدو مرتبكة بين النقود التي تضعها في حقيبة يدها الصغيرة والاكياس وآلة التصوير . . تنظر الى ساعتها لتكتشف مرة اخرى انها تأخرت وتهرع حاملة كل هذا . .

المشهد الحادي عشر

نهاري　　داخلي

زمزم في المطبخ تعد قنينة الحليب للصغير . . تكشف الطنجرة

التي على النار وتضيف اليها محتوى المقلاة التي كانت على النار ايضا . . تهرع وفي يدها قنينة الحليب لتفتح الباب . . يدخل حيدر ومصطفى . . هذا الأخير يسلمها كيسا صغيرا فيه خضار . . تنظر الى الكيس متسائلة . . يجيبها مصطفى (بيديه) ان لا اعاشة . . ويخبرها حيدر (بيديه ايضا) ان صداماً حصل . . تهرع هي الى حيث ينتظر الصغير وجبته ، ويتبعها زوجها . . حيدر جالس وحده الآن ، في غرفته ، يدخن وعينه على ساعته .

الصوت (مواكبا المشاهد الصامتة التي تبدأ بتوزيع الاعاشة وتنتهي بعودة حيدر ومصطفى الى البيت) .

آ . . يا بلد

مبسوط ضحكتك انا بسنة السبعين

فاضيي كنت ومحزوني

ما كان يوما العيد

وكنت طالع شق عا اهلي

واوقف على عشرين قبر جديد

الا ووصلت هالمرا . .

يا ميمتي جابي من بعبدا

وشو عاجقة حالا

نسوان بيض وعسكريي ملونين

وطحين . .

مِيتَيْن جينا . . الزعرني بعيوننا

ووقفوا الاوادم عند باب الدار

وقلنا ما راح نسأل

شو ما حكي بيّي

ولو ملّس المختار

عشواربو تيقول : « منشاني »

وصرنا نقللا للمرا

« والله ما بدنا طحين »

وتقللنا :

« بنجبلكن يا طانط »

ونقللها :

« جيبيلنا دولي

« بتحبنا ،

« مسوسحة فينا

« رايحة سلاطة

« من كتر ما بتشوفنا حلوين »

وتقللنا :

« بنجبلكن يا طانط »

ونقللها

« ياالله ارجعي

« طرقاتنا بالليل

« فيها وما فيها

« وتقللنا : بنجبلكن ياطانط » .

ركبت الطانط وسرّبت عا كان يا ما كان

نحنا اذا النسوان مش نسواننا

ما بنضرب النسوان . .

* * *

وقالوا الاوادم : هالصبي

اللي عند بو محمد

مش عا سوا

طالع من العيلي ولا حق ماو

وماو ـ الله يرحمو ـ

كان الشغل لفوق راسو وقتها

يسكت سني ويبعتلنا نشرة

يقول : « اهجموا »

ونحنا نترجم للشباب

بيقللكن ماو : اهجمو !

يقولولنا : « طيب ،

« هلق رح نترجم

« للي بعد مش عارفين

« شو عم بيقللن ماو

« لازم يعرفوا كلهن

« ويكون فاضي يقللهن

« عامين بدهن يهجموا

« تايهجموا »

* * *

محتار وين بروح بوجّي

من عمتي الحجّي

بعد الصلا تدعي

الي ولماو

وما تجيب سيرة ماو

الا بالمليح

تايضل راضي

بو علي احمد !

* * *

استنّيت ماو وما فضي

تايشيل شامات الوجع والليل

عن خدّ بنت جبيل ! . .

ومحتار . .

المقطع الثاني

الرحلة

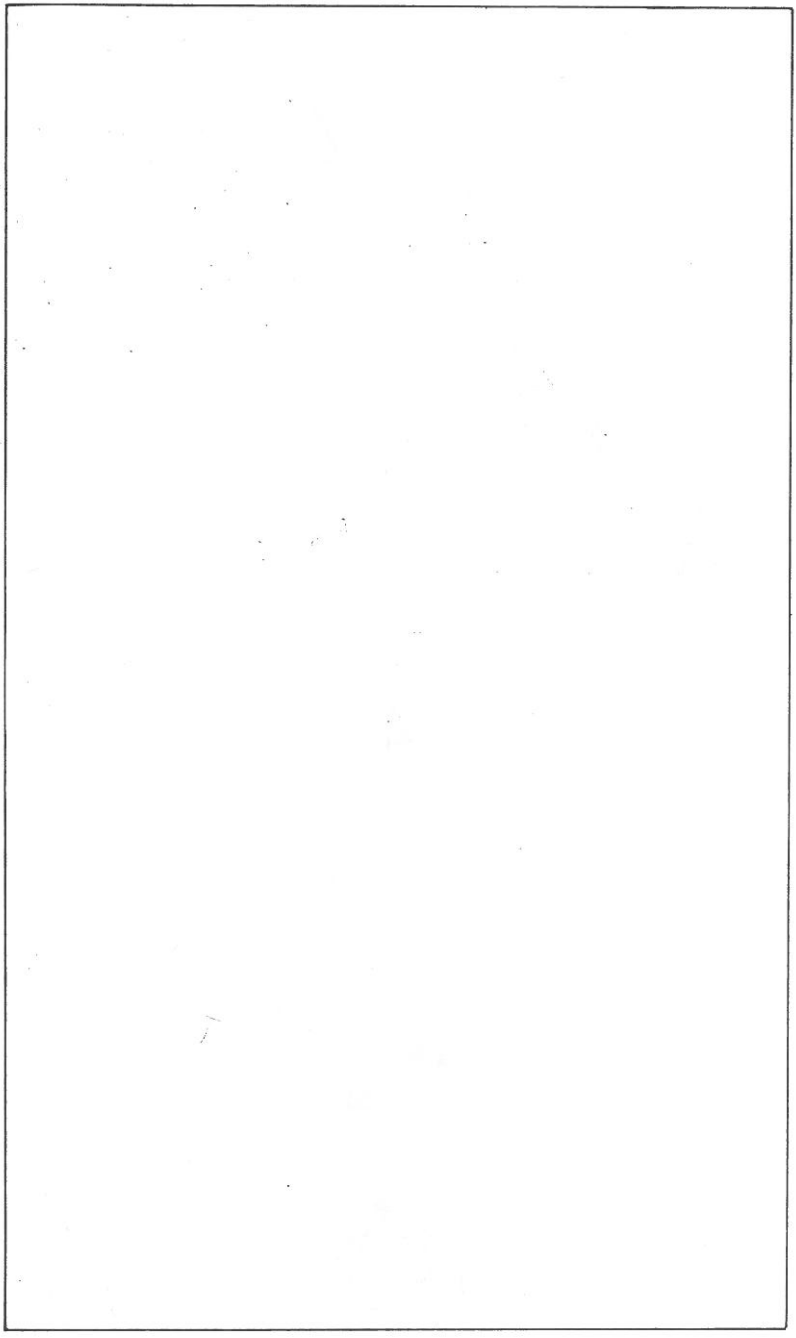

المشهد الأول

نهاري خارجي

حيدر ينزل مرة اخرى من البيت ، الساعة الواحدة . كبرت المزبلة مرة اخرى امام البناية . تظهر جلية صعوبة الحركة في مدينة فقدت فيها معالم المكان وظائفها العادية : لا الرصيف رصيف ولا الشارع شارع . وسرعات العناصر المتحركة غير متناسقة . الرصيف تقطعه سيارات متوقفة في عرضه يصدم مقدمها الحائط ، بحيث يضطر حيدر الى مغادرته والمشي في وسط الشارع . ولكن المغادرة تقتضي منه ان يرجع ادراجه بضعة امتار ليجد منفذا بين السيارات المتلاصقة . مشاة كثر وسط الشارع يختلطون بالسيارات المتوقفة في صف ثان او السائرة وبعربات الباعة المتجولين . . منذ الخطوات الاولى يبدو السير المضبوط الوتيرة نحو غاية محددة معاقا بهذا التنافر بين المتحركات في المكان وبين المتحركات والسواكن .

يحصي حيدر ما في جيبه من مال . . واذ يخرج من شارعه الى شارع اكثر اتساعا (شارع سبيرس) يقف منتظرا . . تقف له سيارة تاكسي وفيها راكب .

السائق : لوين استاذ ؟

حيدر : تاكسي عاليسوعية

السائق : تفضل . .

حيدر : (مشيرا الى الراكب) : والاخ ؟

السائق : الاخ عاطريقنا . . بْنَمَيّل فيه عَرَاس النبع بتاخذ لحظة .

حيدر : وقديش بتريد عاليسوعية ؟

السائق : بس ١٥ ليرة لأنو معنا راكب .

حيدر : طيب .

يفتح الباب ويجلس في المقعد الخلفي . يدفع سلفا للسائق الذي يمد يده مطالبا .

المشهد الثاني

نهاري **خارجي**

عادت الرندحة الآن مقلعة من بين هدير المحركات واصوات الزمور . . زحمة السير في المنطقة الغربية . . ومشاهد متتابعة في طلعة الليسيه ـ مار الياس ثم في النزلة المؤدية من مفترق المصيطبة ـ كركول الدروز الى مفترق حوض الولاية (ابو حيدر ـ البسطة ـ الباشورة) السيارة اما جامدة في مكانها واما تتقدم خطوة خطوة . . مناقشة يظهر فيها بعض الحيوية في المشاهد الاولى ، ثم تغور في الصمت والتأفف بين السائق والراكب الجالس الى جواره . . هذا بينما يكتفي حيدر بكلمة عابرة ردا على توجه الشخصين اللذين يتلفتان اليه بانتظام طالبين تواطؤه . ولا يلبث ان يغرق في كآبة

يائسة لا يقطعها سوى نظرة الى ساعته التي تضبط ايقاع تتابع المشاهد . الساعة الواحدة والربع في آخر طلعة الليسه . . وهي الواحدة وخمس وثلاثون عند حوض الولاية . .

المشهد الثالث

نهاري داخلي

ها هنا لقطة تظهر فيها زينة . . واقفة امام طاولة الاكل تتناول وحدها غداء سريعا . . تضع اللقمة الاخيرة في فمها . . ثم تتأبط حقيبتها وتخرج وهي لا تزال تزدردها . .

المشهد الرابع

نهاري خارجي . .

ساعة حيدر هي الآن الثانية الا ربعا . . والسيارة تتجه نحو جامع البسطة . . (ثم ننتقل من هناك لنشاهد دخول زينة الى المقهى ويصير المشهد ناطقا) .

هذه المشاهد الصامتة تحاول تصوير حالة العداوة التي يورثها اختناق المدينة بين هذه الاخيرة وسكانها . . لذا تتداول الكاميرا صور الصفوف الطويلة من السيارات وصور الهجوم المتداخل الذي يحصل على كل مفترق حالما يبرز منفذ (ولا يلبث ان يسد هذا المنفذ) وصور الوجوه المتراوحة بين الاحتجاج اليائس واليأس الصامت . . عليه يحبّذ اللجوء الى « البلاغة » في التصوير لإخراج هذه الحالات في بعديها الخارجي والذاتي . اي ان حركة الكاميرا وتركيب الصور يجوز لهما ، هنا ، الابتعاد، عن اية « واقعية » او « مألوف » . .

من الجائز اللجوء ايضا الى مشهد ينم عن عدوانية مباشرة . . مثلا : في نقطة ما من الرصيف الايمن بين حوض الولاية وجامع البسطة امرأة تتفرج على فرش سمك محفوف بالثلج . . بينما يرش البائع الماء على السمك ، بحرص ظاهر . . تسأله المرأة عن سعر نوع معين (تشير اليه) . . تتلقى منه جوابا يظهر انه لا يرضيها . . تبدر منها حركة احتجاج يواجهها البائع من ناحيته بصلف وغضب . . كان ما قاله جارحا الى حد ان السيدة انصرفت باكية . . وهي تلتفت اليه وتشتمه . . وهو يواصل تهديدها من بعيد . .

ترافق الأبيات التالية مرندحة هذه السلسلة الاولى من اللقطات الصامتة . .

مش عيب ؟ خطوا شواربك

يا بو علي

وما بتعرفها

حارة « السعديي » !

مش عيب ؟

تلتين البلد ،

يا بو علي !

حْدَعْشَرْ سني عمرك

وفهمان بالإنشا

لو قلّك الاستاذ

«صِفْها ولك صفها » .

« الحارة القبلي » .

شو بدك تقللو ؟

« ما بعرفها

« حارة السعدي » . .

وان قال :

« وينا رقبتك ؟

« هاتا تأقصفها ! »

قلو : « شو عم تحكي

« يا سعداوي

« انت وانا

« مش فرد قومي

« بيصير فيها مراشقة عن جد

«حرب اهلي » !

المشهد الخامس

نهاري داخلي

تدخل زينة الى المقهى وتجلس في زاوية مواجهة للطريق . . المقهى صغير . . بضع طاولات وكونتوار . . جرسون واحد ومحاسب يجلس الى زاوية الكونتوار وراء الصندوق . . لا زبائن . . المحاسب يحدق بزينة (سنعرف انه يستغرب قدوم آنسة الى المقهى) ويحييها

بعد جلوسها تحية من يعرفها معرفة بعيدة :

المحاسب ـ اهلا مدموزيل

زينة : بونجور معلم ، بعدك مذكرني

المحاسب : الوجوه الحلوي ما بتنتسى . . ما عدنا شفنا منها كثير .

زينة : ليه ؟ خير ؟

المحاسب : كل شيء تغير ، بتعرفي . . الدني غير الدني . . والزباين غير الزباين . . الجوالفرح اللي كان ايام ما كنتو تطلو بطّلنا نعرفو . . (مشددا وكأنه يوحي اليها بمغادرة المكان) : مضطرين نستقبل اللي بيجو والوجوه اللي صرنانشوفها مش مألوفي . .

زينة : (تنظر حولها وهي لم تفهم تماما أو كأن خلو المقهى يطمئنها) : شو بدك تعمل ! كلنا مضطرين نطول بالنا .

يتقدم الجرسون (الذي لا يظهر منه ما ينم عن معرفة بزينة) من طاولتها ويسأل :

الجرسون : امري مدموزيل

زينة : عصير رمان مع صودا .

استقرت زينة الآن في وضع انتظار ، وبصرها مثبت على الشارع الذي يظهر امامها قسم صغير منه . .

المشهد السادس

نهاري　　خارجي

السيارة تقف الآن عند اشارة جامع البسطة التحتا (يدل الجامع على اننا ما نزال في المنطقة الاسلامية) . يتقدم شاب مسلح ببندقية كلاشنكوف يحمل على ذراعه اعدادا من مجلة « صوت الشعب » . . هي نفسها التي تسببت في الجدل الصباحي بين حيدر ومصطفى . . يمد المسلح يده بعددين الى الراكبين ، ويقول بلهجة من لا ينتظر جدالا :

المسلح : « صوت الشعب » يا اخوان . . تبرع لاخوانكم المقاتلين . .

حيدر : (دون ان ينظر اليه) : شكرا بتوصلني عالبيت ! . .

المسلح : (ممتعضا) : طيب ! والأخ ؟

الراكب : انا تقريبا ما بقرا (يبتسم وكأن حجته حاسمة ، ثم يحول بصره . .)

المسلح : (بحزم) : ما بيهم ! تبرع لاخوانك . .

يمد الراكب يده الى جيبه طارحا سؤالا هو ورقته الاخيرة . .

الراكب : معك صرافة خمسين ؟

المسلح : (متأففا) : ما فيه ! هلق صرفنا مية . . (متوجها للسائق) ما معك يا معلم ؟

السائق : لا والله !

المسلح : (للراكب) : طيب ، تفضل ! امسك ! (يعطيه المجلة) بنصرفلك ياها من شي حدن . . عاكل حال بدك تصرفها تتعطي المعلم !

الراكب : دفعتلو . .

يأخذ المسلح الورقة النقدية التي كان الراكب يمسك بها في فضاء السيارة محاولا ابقاءها بعيدة عن متناوله . . وكأنه ما يزال يأمل في الخلاص . . يغرق حيدر في مقعده مستكينا ، وهو ينظر الى المسلح في مرآة السائق البانورامية . . بينما يتوجه المسلح الى التاكسي الواقف مباشرة خلفه مسائلا عن الفكة . . فيجيبه السائق نفيا باشارة من رأسه وهو يتراجع قليلا ليتجاوز التاكسي الذي فيه حيدر بجهد ، بعد ان عادت الاشارة الى الاخضر وعلا صوت الابواق . . في وسط المفترق شرطيان يتبادلان كلاما . . واحدهما يشير الى صف السيارات المحاذي للجامع بالتقدم . . ولكن دون اقتناع كبير . . تأخذ السيارات في تجاوز سيارة حيدر تباعا بتحاذق بهلواني واستياء غير خاف على الوجوه . . ولا يلبث الشرطي ان يوقف السير في هذا الاتجاه . . بينما نرى المسلح في المرآة يخرج منتصرا من دكان قريب ، وهو يحصي الفكة . .

المشهد السابع

نهاري داخلي

زينة ما تزال في المقهى . . تنظر الى ساعتها وتأكل اظافرها بشيء من القلق . . تتلفت متأملة المقهى من جديد . . وفجأة يقع بصرها ، في زاوية لم تكن رأتها سابقا على آلات فليبرز . . تتوقف

عندها بشيء من الاستغراب . .

زينة : (للمحاسب) : جديد الفليبرز عندكن يا معلم ؟

المحاسب : (متابعا محاولة التحذير) : يعني من سني ، سني وشوي . . شو بدنا نعمل يا مدموزيل ، على حسب السوق بنسوق ! . .

لا وقع للتحذير على زينة . . اذ لا لاعبين حتى الآن في المقهى ولا زبائن آخرين . .

المشهد الثامن

نهاري **خارجي**

السيارة متوقفة عند تقاطع بشارة الخوري - رأس النبع - شارع الاستقلال (التمثال) . . يظهر شارع بشارة الخوري المتجه نزولا الى وسط المدينة فارغا كليا . . أما الاتجاهات الاخرى جميعا فهي غارقة في بحر من السيارات .

الراكب : (يهم بالنزول) : رح انزل انا . . بكمل ماشي .

السائق : طيب ! الله معك . .

ينزل الراكب بينما يرمقه حيدر بنظرة كراهية . .

حيدر : (وقد خف تحفظه الآن ولكنه متوتر يخاطب السائق وكأنه يحاكمه) ليش دخلك طريق الاشرفية مفتوحة وطريق البرج مسكرة ؟ . . شو الها معنى يعني ؟

السائق : بتسأل عن معنى يا استاذ ؟ . . غضب الله هيدا .

حيدر : (بلا اكتراث) شو خصو الله ؟ .

السائق : مانك شايف يا استاذ . . غضب هلقد كبير مش ممكن يكون الا غضب الله . . هياك شايف كيف البلد مصران مربوط . . ما بيحلو الا اللي ربطو . . مزحومه من هون وفاضية من هون . . تسمم يا خيي ، تسمم ! . . بدها حلال العقد يا استاذ . .

حيدر : يعني شي نهار الله بدو يقول : اليوم انا فاضي . . خليني شوف شو قصتو شارع بشارة الخوري . .

السائق : نستغفر الله يا استاذ . . العقدة اصعب من هيك بكثير . .

حيدر : عارف والله يا معلم ! عارف ! صعبي كثير والله مش رح يحلها . .

السائق : استغفر الله يا استاذ ! . . خللي املك بالله كبير . .

المشهد التاسع

نهاري داخلي

زينة تتناول الآن عصير الرمان في المقهى . غير بعيد منها شابان يجلسان الى طاولة يحتسيان البيرة . . ثمة كأس لثالث . هذا الثالث يقف خلف احدى آلات الفليبرز ويلعب . مسدس يتدلى من حزام اللاعب وآخر من حزام احد الشابين الجالسين . يتوجه هذا الاخير بالكلام الى اللاعب :

اديب : قل لي يا روبير .

روبير : خير يا معلم اديب .

اديب : شو الهيئة الجماعة صايرين آخدين اجر كثير لعند رَيّسكُنْ . . بيشرفوا عالمنطقة بيشربوا قهوي وبيفلوا . . كأنو الدني بألف خير ما في شي يعني . . ! كنت انت عند الريس لما اجو مبارح . .

روبير : لا ما كنت . . جيت بعدين ، كانوا شي فلو . .

اديب : بيحملك دمك تشوف هالاشكال بالمنطقة وما تمسك الواحد منهن تحطو على خازوق يطلع من بين عينيه . .

روبير : (ساخرا ببرود) ليش ما مرقْت خوزقتلك واحد ؟

اديب : كانوا ببيت ريسك يا عرص . . ما بيرفلك جفن ايه . . نحنا بدنا نروح نخوزقهن ما هيك ؟ ليه انتو خوازيقكن صارت دبلاني خلص ؟ . .

(بدأت زينة تتململ . . تنظر الى ورقة حسابها وتفتح حقيبة يدها)

الجالس الثاني : العمر الوحق خيي . .

روبير : هوي بدك تشوف مين سلمهن البلد . . قبل ما تفتح جورتك وتحكي . . الريس لما بيجيبهن بيكون عم يحفرلن جوره يطمهن فيها . . بس انتو شو ؟ لولا ما تخبو روسكن بعبابكن كانوا قدروا يستلموا ثلاث ارباع البلد ؟ لهلق بعدكن بتقولوا عمل شريف وعمل مش شريف . . خرجكن عمل شريف بأماتكن . .

(يتابع لعبه بعنف . . بينما يقهقه الشبان الذين لم تغضبهم ابدا لغة هذا الحوار . .)

تقف زينة التي وضعت ورقة مالية على الطاولة . . وتأخذ طريقها الى الخارج بعصبية وغضب بعد ان تودع بحركة من رأسها محاسب المقهى الذي يجيبها بحركة اعتذار عاجزة .)

المشهد العاشر

نهاري خارجي

السيارة متوقفة في زحمة السير . نحن الآن في الاشرفية (تدل على ذلك الكنيسة التي قرب « بيت الاحرار » او اية « علامة » من هذا القبيل . .) حيدر بات وحده مع السائق . من سيارة اخرى متوقفة ايضا في الزحمة خلف سيارة حيدر (تفصلهما سيارتان أو ثلاث) ينزل رجل متقدم في السن (ابن ستين او نحوها) ويقصد الرصيف ، وكأنما آثر المشي على الانتظار . يمشي الرجل الذي يراه حيدر في مرآة السائق باتجاه السير . امام البناية المحاذية لسيارة حيدر الى اليمين حارس يجلس على الرصيف في كرسي ضخم الا انه رث . الحارس على عتبة العشرين . بندقيته م ١٦ على الارض بين فخذيه . . زحمة السير هائلة الا ان الرصيف ضيق والمارة عليه نادرون . . يسير العجوز في اتجاه الحارس . هيئته ملفتة وثيابه ايضا . . شاربان ابيضان . . نحول ارستقراطي . . مشية واثقة ولكنها بطيئة . . بذلة فاتحة جدا وانيقة ، ولو ان اناقتها من عهد آخر . الى جانب الحارس ، على عتبة البوابة فنجان شاي لا يشربه فوق صينية صغيرة . . وعلى وجه الحارس حزن وغضب . . ونظرته تائهة في الفراغ . . الا ان بصره يقع فجأة على العجوز القادم الذي يبدو انه سيمر من امامه على الرصيف الضيق . يثبت الحارس على الرجل (الذي لا ينتبه اليه فعلا) عينين غاضبتين وتسري رجفة في

شفتيه . . يمد يده ببطء ، يبحث عن الفنجان نصف الملآن ، وهو ما زال يحدق في العجوز . . يقبض على الفنجان . . وحالما يصبح الرجل (الذي ينظر الى رتل السيارات المتوقفة) بمحاذاته ، يرشقه بالشاي على وجهه وسترته . . وقد بلغ الانفعال الصامت ذروته على وجهه .

يتراجع الرجل الى الوراء مذعورا ويمد يده اليسرى ليمسح الشاي عن وجهه ثم عن كمه وجانب صدره . . وعيناه حائرتان بين الحارس الذي يعيد الفنجان الى الصينية ، وبين سترته . .

العجوز : شو باك ولا يا ابني ؟ مش قاشع؟ . .

الحارس : مبلا قاشع !

العجوز : هيك؟ (يزدرد ريقه وقد اذهله الجواب) .

الحارس : هيك !

العجوز : (وقد انخفض صوته قليلا وبدأ يداخله شيء من الخوف الممزوج بالاستعطاف) . طيب ليش ؟ شو عامل انا ؟ رجال مثل جدك .

الحارس : انت ختيار وماشي عالطريق .

العجوز : (الذي لم يفهم) الختياريي اللي بيمشوا عالطريق انتو بتقاصصوهن . .

الحارس : اليوم الصبح جاك عطاك عمرو . . قنصوه تحت عالأمبير . . انت ناقصك عمر حتى جاك يعطيك عمرو ؟ جاك كان عمرو تسعتعشر سني . . كان بيحقلو كثير يمشي عالطريق بعد ! انقبر

من وجي احسن ما قوصك . .

يجري الرجل كما يجري العجائز الذين لم يتعودوا مشية غير مشيتهم الهادئة منذ عشرات السنين . . ويدخل بعد عشرين مترا او ثلاثين من بوابة احدى البنايات المجاورة . . تتبعة الكاميرا انطلاقا من مكان حيدر الذي نرى جانب فمه المفتوح وعينه الراضخة في السيارة . .

المشهد الحادي عشر

نهاري خارجي

عادت الرندحة الآن لترافق سلسلة جديدة من المشاهد الصامتة . ساعة حيدر هي الثانية وخمس وعشرون دقيقة . ينزل من السيارة ويشق طريقه في الزحام بقدر ما يمكنه من السرعة مكملا الطريق الى المقهى على قدميه . . تتابعه الكاميرا لحظات . .

المشهد الثاني عشر

نهاري داخلي

زينة هي الآن في سوبر ماركت . . تتزود اشياء للضيافة : مشروبات . . حلويات . . بكمية وافرة بحيث يبدو انها تنتظر عددا من المودعين اثناء السهرة . .

المشهد الثالث عشر

نهاري داخلي

وصل حيدر الى المقهى . . الشبان الثلاثة ما زالوا هناك ولكن وبير والثالث الذي لا نعرف اسمه يلعبان الفليرز جنبا الى جنب

الآن . . ما زال الحوار مستمرا تصحبه القهقهة وحركات ناشزة بين روبير واديب . . هذا الأخير ما يزال جالسا الى الطاولة وقد كثرت كؤوس البيرة الآن على هذه الاخيرة . . يلمح حيدر ، منذ دخوله بقايا شراب الرمان في كأس زينة . . يجلس حيدر الى الطاولة نفسها ويبدو متقوقعا على حذره وهو يتابع الحوار بين الشبان ويسترق النظر الى سلاحهم . .

لا يلبث جالسا الا لحظة يقوم بعدها الى الهاتف الموضوع بجوار المحاسب . . يبتسم له هذا الاخير كمن يبتسم لعودة ذكرى غامضة . . في بيت زينة جورج على الخط . . يستفاد من حركة رأسه ان زينة لم تعد بعد الى البيت . .

امام استمرار الشبان في هزلهم الذي وصل الآن الى مرحلة الحوار بالأيدي بين لاعبي الفليبرز . . يتردد حيدر في العودة الى طاولته . . يدفع بدل المخابرة ويخرج . .

حيدر الآن في تاكسي ، يبرز تذكرة هويته على الحاجز الفاصل بين منطقتي بيروت .

الصوت المرافق :

تايوم قالوا تصالحوا

وما عاد واحدهن

يمشي ويحوِل عاحجر

جنب الطريق

ويونّ براسو حجر

ويحس راسو ابريق ! .

سلحبْت بين الناس

بعد المغربيي

شو يا بطل !

رايح على حارة السعديي !

تمشي وتتلفت

وتقول محلاهن السعديي!

لا خبّطوني

ولا حدا منهن

سبّ لبيي

ومزيَّني كانت بعشر لْكوس

ساحة الجامع

ومش سايعه

اهل البلد

عم يدبكوا

ويتمرجلوا عالبيك

والله تا افعل هيك !

والله تا اترك هيك !

ونزِلْت بالدبكي

وغنيت دلعونا !

توصل لحيا الله صبيي عالدرج

بساحة الجامع

طلْعت غلط

ما كنت زاغلها قصد

لا والنبي !

ما كنت جايي خربط الدبكي

بساحة الجامع !

القصة وما فيها

انا صوتي غلط !

المشهد الرابع عشر

نهاري داخلي

تدخل زينة صالون المنزل . جورج جالس يقرأ الجريدة ويدخن ، موسيقى راقصة تنبعث من الراديو .

جورج : تلفنلك واحد اسمو حيدر . . هيدا هوي اللي كان يتلفن من زمان ؟ بعدو طيب ؟

زينة : شو قال ؟

جورج : قال بيرجع بيتصل . .

زينة : (تتأفف باضطراب) : هيدا هوي اللي كان يتلفن . . بعدو طيب ايه . . ليش مين مات بها الحرب يا جورج ؟ بيقولوا مات

الوف والوف . . انت بتعرف حدن مات ؟

جورج (متفكرا) : بعرف اربعة خمسي . . واحد قاتل معنا بالشوير وشفتو ميت . . خبرتك وقتها . . الباقيين عرفت انهن ماتوا . . كنت اعرفن قبل . . بس فيه كتار قتلوا وطلعنا بالجناز . . ما كنت اعرفن . .

زينة : اكيد اللي ماتوا فيه ناس بيتذكروهن . . انت بعدك بتحلف برحمة البابا . . بس بتتذكروا ؟

جورج : بالاول كنت اتذكروا يمكن . . انا شو كان عمري وقتها ؟ هلق لما بتذكروا ، بنتبه اني عم شوف صوَرو اللي هون بالبيت . . مش هوي . . (بعد لحظة)

زينة : ولو جورج . . قوم رقصني قبل ما ييجي حدن . . اذا ما رقصت الليلي يا بموت يا حدا بيموت عني . .

يرقصان بهدوء ، وبلا اقتناع من جانب جورج . . هو لا ينظر الى اخته ، وهي تنظر اليه بمحبة وشرود . . يتركز نظرها لحظة على حاجبيه ، وهما مرسومان بدقة ، منحنيان كأنهما سيفان . تضحك فينتبه جورج وينظر اليها متسائلا . .

زينة : مبين رجعت تظبّط حواجبك . . يا سلام على السيوف المحنّيي ! لمين كل هالتظبيط؟! فيه حدا جديد ؟

جورج : يا ريت ! كنت اليوم عند الحلاق . . هاي كل القصة .

زينة : لما كنت ترجع من الشوير كانوا يبقوا مش مظبطين . . يبقوا احلى

جورج : يعني فيه سيوف بتغني عن سيوف (يشير الى حاجبيه

والسيوف الاخرى)

زينة : لهلق ما شفنا خير لا من هيدي ولا من هيديك . . (كأنما تذكرت شيئا) شو بدي قول يا ابو الجوج . . في كتاب اسمو « تاريخ يوسف بك كرم » تركتلك هوي جنب تختي . . بترجعوا لمكتبة الجامعة . . ايه حبيبي . . ما لحقت ردوا انا . .

جورج : والله انا بحب اقراه هيك كتاب . . يوسف كرم كان عظيم . . جسمو زغير وفعلو كبير . . خرب الدني . . ما هيك زيزي ؟

زينة : لا ما هيك . (جرس التلفون يدق) هيدا الي (تترك زينة جورج وتهرع الى غرفة النوم) .

المشهد الخامس عشر

نهاري داخلي

زينة (على الهاتف في غرفة النوم) : الو . . هيدا انت؟ . . شو صار لك ، ليه ماجيت ؟

حيدر (متحدثا من هاتف الورشة نفسه) : تأخرت حوالي نص ساعة من عجقة السير . . كنت عارف فيه عجقة . . بس ما تخيلت . . ما كان ممكن اتخيل انو بتكون ضخمة هلقد . . ما صرلي الا كام يوم ببيروت . . وقليل ما طلعت من الحي . . انتي ما نطرتيني ابدا . . كنت قايلي انو معك شوية وقت . .

زينة : من اول ما فتت عالقهوي ، جرب المعلم يفهمني انو القهوي ما عادت خرج بنات . . ما فهمت عليه الا بعد شوي . .

اجا ثلاث شباب وبلشوا يتزانخوا . . لقيت اني مش قادرة أبقى ابدا . .

حيدر : شفتن . . وتقريبا حزرت . . انا كمان خفت شوي ولقيت انو ما فيّي طوّل . . عم بيصير النهار قصير . . هلق شو بدنا نعمل ؟ . . بتيجي بكره شوي بكير عالمطار ؟ .

زينة : (تلهو بعلبة الكاسيت الموضوعة الى جانب الهاتف) بكير يعني اي ساعة ؟ طيارتي تسعة ونص . . رح نطلع من البيت سبعة حتى نوصل ثماني . . ورح يكونوا معي امي وخيي . . ما فينا نيجي ابكر من هيك . .

حيدر : عا كل حال انا رح اجي . .

زينة : (محدقة في الكاسيت) عندك مسجّلي ؟

حيدر : ايه . . الراديو جبناه ! . . ليش ؟ .

زينة : شوف . . انا المسا جايي لعندي ناس . . مش رح يسهروا كثير . . بيعرفوا اني لازم ارتاح . . عشرة بيكونوا فلّو . . بتسجّلي شريط . . وبسجّلك شريط . .

حيدر : (متحيرا) عالمسجلي . . يعني ؟ .

زينة : قول هيدي زينة . . الله شالا وحط بدالا مسجّلي . . انا اللي قلتلك الصبح انو بدي احكيلك عن حالي . . مش انت طلبت . . يمكن ما تعجبك المسجلي . . مش حل يعني . . بس ما عاد فيه غيرو . .

المقطع الثالث

سهرة التسجيل

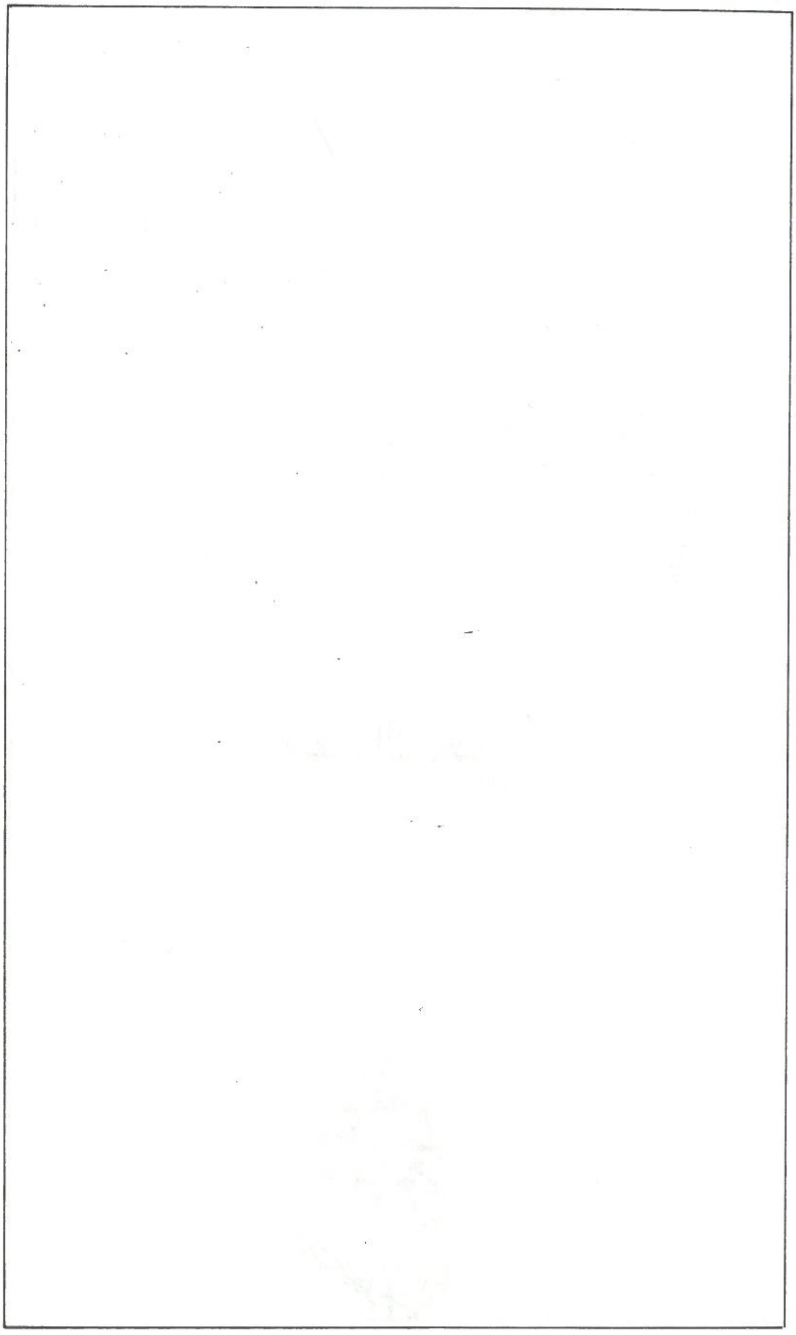

المشهد الاول

ليلي داخلي

يجرّ حيدر ساقه في مدينة صارت الآن موحشة ، غير كافية الاضاءة . . يشتري قنينة ويسكي من بسطة لا تزال ساهرة في سوق الصنائع . . ويشتري من بسطة اخرى شريطي تسجيل . .

المشهد الثاني

ليلي داخلي

زينة في المطبخ مع امها ، وهما منهمكتان بصمت في اعداد ضيافة خفيفة لضيوف الليلة . . تتبادلان النظر مرارا بشيء من الخوف . . وفجأة تترك زينة كل شيء باضطراب ظاهر ، وتجلس على كرسي خلف طاولة المطبخ ، جلسة من اثقل عليه الهم . . تتظاهر الام بانها لم تر شيئا وتتابع العمل .

المشهد الثالث

ليلي داخلي

عاد حيدر الى البيت . هو الآن وحده في غرفته العارية . وضع

القنينة جانبا ووضع شريطا في المسجلة للتجربة . . ثم ازاحها هي الاخرى وقام .

المشهد الرابع

ليلي داخلي

زينة بين مودعيها : « زميلات » متفاوتات السن . . ورجل واحد داخل هو وجورج في نقاش معقد . . تنقل زينة صينية عليها صحون صغيرة جمعتها من امام الضيوف . . وتستفيد من فرصة توليها الضيافة ، لتخلو الى نفسها لحظة في المطبخ . . تتنفس وتنظر الى ظلام الخارج من النافذة . . في الصالون تتبادل الوالدة اسئلة واجوبة قصيرة مع بعض الزائرات . . ويظهر عليها حرج مهذب . مالت زينة الآن ومعها الصينية ملأى بصحون المكسرات الصغيرة الى الحمام . وضعت الصينية امامها على المغسلة واخذت تنظر في المرآة الى وجهها المتعب . . الى الغضون تحت عينيها وفي عنقها . . تشيح ببصرها الى الصينية وترفعها وهي تهز رأسها رفضا .

المشهد الخامس

ليلي داخلي

حيدر مع مصطفى وزمزم والطفل . . اخوه وزوجة اخيه يأكلان على صينية الصباح ، اما هو فلا . . يبدو على الجميع بعض الشعور بالبرد . . سرعان ما ينتهي مصطفى وزمزم من الأكل . . يحمل حيدر الصينية بما بقي عليها من طعام ويدخل بها الى غرفته .

المشهد السادس

ليلي داخلي

زينة تودع زميلاتها وزميلها ببرود مهذب . . والدتها واخوها يصافحان وهي تدير خديها للقبلات .

المشهد الرابع

ليلي داخلي

ضغط حيدر الآن زري المسجلة ليبدأ التسجيل . . هو جالس على الكرسي الصغير . . صينية الطعام امامه وعليها قنينة الويسكي . . وفراشه ممدود الى جانبه . . ينظر الى المسجلة صامتا وفمه نصف مفتوح وكأن منظرها يدهشه . . ثم يقوم ويتمشى نحو باب الشرفة . في الخارج تحت ضوء قنديل الشارع الوحيد ، بلغت المزبلة اقصى ضخامتها الآن . . يعود حيدر الى الداخل ويتمشى نحو باب الغرفة المغلق متنصتا . يميل الى الصينية ويأخذ جرعة من قنينة الويسكي مباشرة ثم يذرع الغرفة تكرارا والمسجلة لا تزال دائرة . .

المشهد الثامن

ليلي داخلي

زينة تضيء النور في غرفتها . . تقف بالباب . . تنظر لحظة الى الفوضى . . وتهز كتفيها دون اكتراث .

المشهد التاسع

ليلي داخلي ـ خارجي

حيدر : هيئتك مفكرة انو بعد فينا نحكي مثل زمان . . يمكن . . عا كل حال انا قبلت احكي هيك . . مثل ما بدك . . بلا ما شوف وجك يعني . . بلا ما شوف صور الحكي بعينيك . . كيف بتطلع . . حاطط قنينة ويسكي قدامي . . شايفي ما عم خبي عليكي شي (يضحك) . . كنت بقدر ما جيب سيرة القنيني ، شو بتعملي معي يعني ؟ (يضحك) . . عم قول انو هلق شوارع بيروت فاضيي . . افضى من زواقيق عديسي بهالليل . . ومفروض انو الكلمي تسلحب وتوصل صوبك . . توصل بخير يعني : لا مطعوجي ولا متغير لونها . . هيك بتأمل يعني . . بس ما في شي اكيد . . بتأمل كمان اقدر انا احكيلك . . ما ياخذني الحكي لوحدو . . مثل ما هوي بدو وينسيني الأشيا اللي بدي قلك ياها . . بعدني بتذكر طبعا شو قلتيلي مرة بالقهوي : انو لما بتحكي معي بتحسي انو الكلام مش عم بيضل منو شقف فلتاني جوا . . ممنونك انا ! . بعدني لهلق ممنونك ! بحياتي ما حدا قللي شي اهم من هيك . . ممنونك يا زينة (يضحك) . . انا ما كنت وصل لهون حتى ولا معك انت . . بس الليلي رح جرّب . . مش سهلي . . اصعب من الاول صارت . . لانو انتزع القاموس . . اللي كان يقول كلمي قبل ثلاث سنين ومفكر حالو عارف شو معناها . . اسأليه عن معناها هلق لازم يطلع معو شي ثاني . . لدرجة يا زينة انو في كام كلمة طلع معناهن خراب بيوت وستين الف قتيل . . مين كان حاسب هيك؟ . . بس عالقليلي أنا مضطر شوف انو فيه بيني وبينك ما بدي قول ستين الف قتيل . . بيبطل فيي قول شي ثاني . . فيه بيني

وبينك . . وفي بين اي شخصين عم بيفتشوا عا بعض ببيروت شي ربع مليون سيارة ، والفين مزبلي ومليون كلمة عالحيطان . . واشيا تانيي كمان . . ورصاص واجسام واصوات بشر . . لما بحكي معك ، بيمرق الحكي بكل هالناس وهالاشيا ومدري شو بتفهمي انت . . هياني اليوم ، بشحمي ولحمي ، رحت اليوم . . ومرقت باشيا وناس وما وصلت لعندك . . مثل شي طابتين بندحرجهن تايلتقوا بس الحجار والتراب والهوا بيودوهن وحدي شمال ووحدي يمين . . ما تقوليلي انو قبل كان فيه سيارات ومزابل وحيطان . . لما الواحد بيكون عارف مطارح الاشيا ، بيمشي بيناتها واذا الاشيا والناس تصرفوا بحسب عاداتهن بيوصل . . هلق الدنيا فوضى يا زينة . . بتكوني راجعة عالبيت بتلاقي حيط نقل من مطرحو وقطع عليكي الشارع . . ما بدو يخليكي تمرقي هيدا الحيط . . بدو يضحك على تعتيرك . . الدنيا فوضى ، يا زينة ، شو بدي احكيلك . .

(يبدأ المشهد مع حيدر جالسا امام المسجلة وقد وضع على كتفيه حراما يتقي به برد الليل . مع ضحكته الثانية تنتقل الكاميرا الى الخارج وتأخذ الطريق نفسها التي قطعها التاكسي بعد الظهر وهو ذاهب الى اليسوعية . . يبدو التصوير وكأنه تمشيط يتم بسلاسة تحت ضوء القمر (على عكس الرحلة النهارية) . ولكن الكاميرا تقطع حاجزين او ثلاثة . . وهي كلما وصلت الى حاجز تتوقف بغتة وكأن شيئا لجمها ، ثم تستأنف حركتها السريعة . . الى ان تصل الى البناية التي تقيم فيها زينة . . فتظهر نافذتها المضاءة ثم تظهر زينة نفسها مستلقية على سريرها . . ويبدأ المشهد التالي بحيث يكاد كلام زينة يتصل في بدايته بكلام حيدر . . ولكن منذ هذا المشهد وطوال

« الحوار » سيمثل كل من حيدر وزينة لعبة « الحوار » تمثيلا كاملا ، فيتخذان وضعا قريبا من وضع مخاطبة الآخر حين يكون حاضرا . . قريبا ـ نقول ـ لا مماثلا لأن جسميهما سيكونان اكثر حرية مما لو كان الآخر حاضرا . . بحيث تغيب قيود اللياقة المضادة ويتاح لكل منهما ان يحك قفاه مثلا وهو يقول اكثر الاشياء اهمية . وهكذا نبتعد كليا عن الموقف المعتاد من الذين يجلسون امام مسجلة . . يشرب حيدر ويدخن كثيرا طيلة السهرة . . اما زينة فتعد لنفسها شرابا ساخنا في وقت من الاوقات) .

المشهد العاشر

ليلي داخلي

زينة : بتعرف انت ولا مرة قلتلي كلمة غزل . . الا هيك عن مزح يعني . . ولا مرة جربت تمسكلي ايدي بالقهوي . . وانا من جهتي ما كان بدي . . كنت لاقي وجك اليف وما كنت شوف من جسمك غير كيف تتطلع فيي . . كيف بتبتسم . . كيف بتضحك . . وكيف بتحكي . . صوتك شي عا جنب انت ـ بتعرف ؟ لما تغيب كنت اشتاق لصوتك . . ما اشتاق للرجال اللي هوي انت . . مش قادرة لاقي كلام اوضح من هيك وحاسي انو اللي عم قولو ناقص . عا كل حال لما نقعد ونحكي . . انا كنت احكي أكثر منك . . بس في مرات تبقى متجلبي معك . . تبلش تحكي عا مهلك وما تعود تسكت . . ما عدت اليوم اتذكر شي تقريبا من اللي كنت تقولو . . جملي من هون وجملي من هون . . يمرق بالحديث مواضيع كثير . مش المواضيع اللي كانت تهمني فعلا . . انا دايما كنت حسك قريب . بس بهيديكي الجلسات كنت لما تخلص ، تبلش تسكت . . كيف

بدي قول ؟ تسكت شوي شوي . . وأنا اشعر انو انسب كمالي للحديث هي اني نام معك .

المشهد الحادي عشر

ليلي داخلي

حيدر : بعدين اجت الحرب . . وانا انسحبت . ما عاد بدي اعمل شي . . واللي عملتو عملتو غصب عني . . عالأقل بفضل اعتبر انو هيك صار . . بس مش سهل يوقف الواحد . . ويتفرج عالحرب او يعمل فيها اشيا غصبن عنو . . بيحس انو ما عاد عم يكمل . . صار عم يجرجر . . عم يمشي مطرحو . . كل المحلات اللي كان مفكر حالو عم يمشي صوبها اختفت . . وهلق ما عاد عم يمشي لمطرح . . فيه مرة انا عفشت حالي عم بضحك لوحدي . . كنت عم فكر انو الحرب مش اول مناسبة بجمد فيها وبجرجر . . بس اهم مناسبة . . ويمكن آخر مناسبة . . يمكن انا وقفت عاطول . . كنت عم بضحك لأني تخيلت السنين الماضيي مثل حريم السلطان . . خانوني كل خمسي او كل عشرة سوا .

المشهد الثاني عشر

ليلي داخلي

زينة : بتعرف ؟ . . قبل الحرب صار وقت بتذكر منو اشيا . . بنسى اشيا . . كأنو زمان ما عاد يرجع . . كأنو طفولتي . . بتذكروا . . واللي صار بعدين ما شي . . الحرب مش موجودي . . وقت الحرب هوي وقت بستنّى ايمتين رح يخلص . . يعني وقت مش موجود . . هيدا هالوقت طوّل كثير ! . . وهيداك ما عاد يرجع . .

منشان هيك انا فالي .

المشهد الثالث عشر

ليلي - نهاري داخلي - خارجي

حيدر : ام قاسم كانت جارتنا بالضيعة وهربت لهون قبلنا بمدة . . كانت تحب توقفني بالطريق وتحكي معي لما امرق من قدام بابهن . . اول ما عِرْفت انو صرنا هون اجت لعنا هي وابنها ومَرْت ابنها . . جابولنا فرشة ولحاف لأنو هني هربوا بعد اول مشكلة كبيري صارت بالضيعة . . كانت الضيعة بعدها محيدي وقدروا يطلعوا شوية غراض بسيارة . . ما فيها ام قاسم تشوفني الا ما تتعجب كيف بها لعمر بعدني مش مجوز . . سألتني مثل العادة ايمتي بدنا نفرح منك يا استاذ ؟ انا كنت كثير مخربط كيف طلعنا من البلد . . قلتلها : تحت اي سقف يا ام قاسم ؟ صارت تبكي . . وانا تضايقت من حالي اللي جاوبتها هيك . . قالتلي والله ما في فرح الا بالضيعة يا حبيبي . . شفت انا إنوام قاسم مش عم تحكي عن العرس . . عم تحكي عن كل شي . . عن العيشي . . عمرها خمسة وستين هيي او اكثر شوي . . والعيشي عندها هيي بيتها وحاكورتها والناس اللي بتعرفن بالضيعة . . فيها تعيش بشقة ام قاسم ؟ ما حدا فاضي يضهرها مرة كل عشرة ايام . . واذا مشيت ببيروت ميتين متر لوحدا بتضيع . . بعرفها منيح انا . . وبقدر شوف انو بيروت مثل بتحسها اكثر من حبس . . بيروت هيي محل العيشي فيه معلقة . . مجرد انتظار . . ما الو معنى الا اذا فيه امل يردوها عابيتها وترجع تبلش تعيش عن جدّ . . اذا حست ام قاسم انو الانتظار يمكن يطول خمس سنين او عشرة بتكون عم بتحس انها ماتت . . ما عندها سنين هلقدّ

تضيعن . . قديش بدها تعيش بعد ؟ انا قلت لحالي انو وضعي مختلف . . بعرف بيروت منيح . . وبقدر شوف ناس فيها ، ويمكن اقدر اشتغل . . ويمكن يكون عندي امل عيش بعد اكثر من ام قاسم . . هيك امل بهالايام صعب الدفاع عنو . . بعرف . . بس يمكن اقدر اسمح لنفسي اني ضيعلي كام سني بعد . . مع هيدا بحسّ انو بيروت هالمرة شي مختلف . . مش حبس . . بس محل ما عندي أي مبرر اطلع منو . . شو بدو ياخدني مثلا عاطريق الاوزاعي؟. . أنا لما كنت امرق من هونيك من زمان ابقى طالع عالضيعة . . هلق ما في ضيعة . . ومداخل بيروت صرت حسها ، بشكل من الاشكال ، طرق مسدودي . . ما في داعي للواحد يمشي فيها للآخر . . خليه بالحي اللي ساكن فيه احسن . . شو بدو يطلع يعمل ؟ ام قاسم بتبقى بالبيت . . وانا ببقى بالحي . . مش نفس الشي . . بس في شبه . . في شبه بالانتظار . . فيه عِيشي وقفت وفيه عيشي نقصت . . ام قاسم كانهن قتلوها . . وانا بهالحي هلق . . وانت رايحة . . بتعرفي فيه ناس ماتوا . . بس يمكن كلنا متنا شوي . . فيه ناس قتلوهن اكثر من ناس . . بس بالأخير قتلونا كلنا .

يبدأ المشهد ببيت من طراز قديم لا يقل عمره عن اربعين سنة . . واسع وله دار تضربها الشمس . . في الدار غسيل ابيض منشور . . وكل شي يوحي بالنظافة والحيوية . . بما في ذلك المقشة والمجرود الموضوعان في زاوية واواني النحاس المبيضة والزجاج وكلها مجلوّة وموضوعة امام البركة . . واحواض الزهر والبقدونس والنعنع وهي مفتحة رطبة التراب . . ثمة ايضا كراسٍ صغيرة ، في الممر امام الحاكورة وابريقا شاي احدهما فوق الآخر ، على الطريقة

« المتوالية » وكؤوس على صينية تنتظر الشاربين . . كل شي يوحي بحيوية ام قاسم وحرصها على هذه البقعة التي سورتها ورتبتها لنفسها في الدنيا . .

بعد ذلك نرى حيدرا يقول بضع كلمات عن حياة ام قاسم في بيروت ثم نرى منزل ام قاسم نفسه منسوفا وقد تحول الى كومة حقيرة وصغيرة من التراب والحجارة . . ثم نعود الى حيدر متحدثا . . ثم الى ام قاسم وهي في غرفة حيدر نفسه ، يوم احتلالهم الشقة . . تظهر لنا وهي تقوم متثاقلة عن فراش محزوم (هو فراش حيدر) جلبته لتوها مساعدة للعائلة القادمة . . يبدو التهالك والتعاسة ، على ام قاسم في قيامها ومشيتها وملامح سحنتها .

المشهد الرابع عشر

ليلي - نهاري داخلي

زينة : بالأخير يمكن المقاتلين معن حق . . لو ما في مسلحين بهالمنطقة مدري جماعتكن شو كانوا بيعملوا فينا . . اللي هون بيدَفّعو البيوت خُوّي، بينسفوا محلات . . بيلغموا سيارات بالشوارع . . بيتقاتلو بين بعضن بيقتلو من بعض وبيقتلو من الناس بالطريق . . انا بستتقل دمن كثير المسلحين اللي عنا . . اللي عندكن ما بعرفن عن قرب . . حتى خيي لما بشوفوا حامل بارودي بحس اني ما بعرفوا . . لحد ما يحكي . . بس يحكي بشوفو حبوب مثل ما هوي . . مسكين جورج . . صعبي قول يعني انو اللي بيعملوه المسلحين هو شي بسيط او بينحمل بسهولي . . واحد من الأسباب اللي رح تخليني هج من هالبلد هوي الجو اللي فارضو وجودن عالحي . . وعالبلد . . في ناس

بيحبوهن . . بسمع نسوان بيحكو : يسلملي جان ما احلاه بهالبدلي ويقبرني جوزف شو لابْقتلو هالبارودي . . انا مرّات بقللو لخيي تسلملي جورج ناولني كباية مي ما بقللو تسلملي شو لابْقتلك البارودي . . بيجوز كل وحدي بتفكر انو ابنها او خيها قصتو عاجنب ، بس رفقاتو اللي ما بتعرفن زعران ، قتّالين قتلى . . بس مثل ما عم قلك في ساعات بفكر انو لو فللو هالمسلحين اللي عنا واجو اللي عندكن لعنا . . شو بيعملو فينا كانوا . . بعرف انو الماما مش بس بتيجيها هالفكرة ببعض الايام . . كل يوم بتفكر هيك . . وبتخاف عليي انا اكثر شي . . ما عارضت سفري ابدا . . مع انها بتعرف انو ممكن اعلق باميركا . . وهيي كانت بتتأمل اني اتزوج هون وافتح بيت وضلني طل عليها . . انا من جهتي بتيجيني نفس الفكرة . . بس مش كل يوم . . مرات بتزحط هيدي الفكرة . . بحسها عم تزحط ومش عم تقدر تكمشني . . مرات لأ . . مثل هلق . . بتمسكني الفكرة ببطني . . وبخاف بكل جسمي . . خايفي كثير هلق مع اني مسافرة بكرة الصبح . .

انتو يمكن خفتو كثير كمان . . ما عم قلك هيك منشان التوازن . . بعرف اللي عنا شو بيتأملوا يعملوا اذا فاتوا عابيروت الغربية . . سمعتن بعض مرات عم يحكو . . عاكل حال اللي هون واللي هونيك بيعملو مثل ما عملوا بالمطارح اللي احتلوها . .

(تستعاد هنا لقطات من سلوك مسلحي المقهى بعد الظهر ثم من الرقصة مع جورج) .

المشهد الخامس عشر

ليلي داخلي

حيدر : فات الرقيب تبع القليعة قعد بصدر الأوضة . . وهيدا جميل زعرور بقي واقف بالباب . . لا هوي فات ولا حدن منا عزمو يفوت . . تبع القليعة بلش بدو يستفسر عن احوالنا . . كأنو عم بيمهد حتى يعملنا وعظة . . انا ما تركت مجال . . دغري سألتو شو بيريد . . كأنو زعرور مش موجود معو . . قللي انو فيه دورة تدريب لشباب الضيعة باسرائيل واني لازم ايجي على المركز ثاني يوم الساعة ستة المسا . . مصطفى قللو انو هوي بيروح محلي لأنو اصلح مني للتدريب . . جاوبو هيداك انو مش عم ياخدوا المتزوجين . . بلشت انا بدي قول انو اجري معطوبي وانو الجيش اللبناني ذاتو كان عافيني من التدريب العسكري . . بيرد زعرور . . بدون ما يتطلع فيي . . بيقللو لتبع القليعة : اسألوا للاستاذ لما كنا نتسابق بطلعات العَويذي حدا منا كان يقدر يمشي قدامو ؟

المشهد السادس عشر

ليلي داخلي ـ خارجي

زينة : قلتلو يا جورج طيب . . عم بتحاربوا على الجبهات . . وعم تقصفوا احياء وضيع . . بدك تقللي هيدي الحرب وهني عم يعملوا نفس الاشيا . . هيدا نقاش طويل ، بتعرف ، فينا نؤجلو . . بس ليش بتمسكوا ناس عالحواجز ما الهن ذنب . . بتعذبوهن وانتو عارفين انو ما عندن شي يعترفوا فيه . . بترجعوا بتعدموهن وانتو عارفين انو يمكن بزمانن مش مخالفين قانون السير . .

بالأخير بتمثلوا بجثتهن وبترموهن للكلاب أو للسمك . . ما تقللي انو بالجهة الثانيي بيعملوا هيك . . ما شايفي انا انو بتردعو حدن اذا رديتو بنفس الاسلوب . . بالعكس بيصير فيه مزاد وانا مش متأكدي ابدا انو مش انتو اللي بلشتو . .

قللي جورج : انا ما دخلت بهالأعمال ، روحي اسألي اللي بيعملوها . . قلتللو يا جورج : انت خيي وانا بحبك . وانت عم بتقاتل مع اللي بيعملو هالأشيا . . وانا قبلاني ابقى معك بفرد بيت . . مجبور تقللي ليش رفقاتك بيعملو هيك . . راح جورج سأل المسؤول عن فرقته . . كان رفيقو بالمدرسي وبيحكي معو بكل شي . . هيداك ما عرف يجاوب راح سأل المسؤول عنو . . ويمكن المسؤول سأل مسؤول اعلى . . بالأخير جورج جبلي جواب من مرجع عالي كثير ما كان عارف مين هوي . . بيقللي انو اذا ما التقى حدن يعذّب ويدبح ويقطّع جثث ، يمكن اللي عم بيقاتلو عالجبهات ما بيعودوا الهن قلب يقوصوا عاللي بوجن . . حتى من بعيد ! . .

(في بداية المشهد تظهر زينة ، وهي تتحدث امام آلة التسجيل . حين تصل الى « جولة » جورج على المسؤولين ، نراها جالسة على حجر في وسط الطريق امام بناية عالية ، محترقة لا ابواب لها ولا نوافذ ، ونرى جورج ، بسلاحه الكامل ، يصعد درج البناية لاهثا ، وحوله على الدرج ركام وقذارة . . وهو يطل من كل طابق مشيرا الى انه لا جواب . . الى ان يطل مرة اخيرة من طابق عال ، وهو يتهلل فرحا . يتاح لنا ان نتثبت من ان البناية - وهذا الطابق بخاصة - خاليان تماما ! . .)

المشهد السابع عشر

ليلي داخلي

(يرجع حيدر الشريط الى الوراء . . ويبدأ بالاستماع الى نفسه . . يبدأ مرتاحا ويضحك وهو يسمع خبر السهرات عند صديقه . . ضحكة سكران . . ولكنه يتنبه حين يصل الى حديث زمزم ويظهر عليه اضطراب متزايد . . الى ان يوقف المسجلة ، في النهاية ، بعصبية من لم يعد يريد السماع) .

حيدر : بعدما فرضوا منع التجول بالضيعة ، مضت مدة ما عاد حدا يسهر عند حدا تقريبا . . حتى الجيران . . انا كنت روح احرس بالليل بالمخفر او عالحاجز . . وبعدين ارجع عالبيت نام . . كان الي صديق بطرف الضيعة متزوج . . كنت روح اسهر عندو قبل احتلال الضيعة . . يبقى يجي بنات عهالسهرات . . معلمات . . تنتين ، احيانا ثلاثي . . نقعد نمزح . . مرات نلعب ورق . . بعض ليالي كانوا يجوا يسهروا عندي . . وحدي منهن كانت تحب تشكيلي هموما . . نقعد نحكي عا جنب . . نشرب شاي ونترك الثانيين عم يلعبوا ورق . . وفي ليالي لما يكون مزاجها رايق . . تضحك كثير من كل شي قلها ياه . . وتصير تضربني هيي وعم تضحك حتى اسكت . . كنت شايف انا انها ناطره مني كلمة . . موقف . . ما بعرف شو بدي قول . . وانها مستعدي تحبني كثير . . وكنت مبسوط فيها . . بس متردد . . مش عارف لوين لازم اوصل معها . . لما صار فيه مسلحين غربا بالبلد ، البنات بطلوا يظهروا حتى بالنهار ، الا اذا في شي ضروري . . وطبعا ، مع منع التجول ، ما عاد فيه سهرات . . صار يمضي شهر ما احكي كلمة مع بنت . . حس حالي

كثير متضايق . . بس اعتبر انو السبب هو الوضع كلو سوا . . ما كنت معتبر قلة الحكي مع البنات سبب معزول . . لوحدو يعني . . لحد ما اجا يوم لاحظت اني بلشت استحي من مرت خيي . . هيك يعني . . اضطرب قدّامها واتجنبها . . هيي زمزم ازغر مني بشي ١٢ سني . . قويي كثير . . بتحبني وبتعتني حتى الاكل يعجبني وبتنتبه على كل شي بيخصني . . وبأي خلاف بينها وبين مصطفى بتحطني حكم . . بتقللو استنى تايجي حيدر بنحكي . وبتعتبر انو رأيي ما لازم ينرد ابدا . . صرت خاف لما فوت عالبيت انو هيي ما تكون قاعدي منيح او ما تكون لابسي منيح . . يعني كون جايي من الساحة ، حس إنو ما فيي فوت عالبيت مثل عادتي حتى اتغدى واطلع عا اوضتي نام شوي بعد الظهر . . حس انو في شي عم يدفعني دق عالباب قبل ما فوت . . ما كنت دق طبعا . . بحياتي ما دقيت على باب بيتنا انا . . بس صرت فوت انا ومضطرب وحاول ما تيجي عيني بعينها . . وطول الوقت ، انا وبالبيت ابقى واعي ـ كيف بدي قلك ؟ ـ انو زمزم مرا كثير حلوي . .

المشهد الثامن عشر

نهاري خارجي

زينة : يومها كنت راجعة من السوق حاملي كيسين خضرة كثير تقال . . نزلت القذيفي قدامي ما فيه خمسين متر . بالأول ما شفت شو صار . فت بمدخل البنايي اللي كنت جنبها ولطيت بالزاوية . بس بقيت شايفه من البوّابي كل الشارع لحد البنايي اللي فيها بيتنا . . لما تطلعت شفت اللي ما كنت شفتو لما نزلت القذيفي : رجال مقسوم نصين . كأنو حدن قصو بالسيف . نصو بأرض الشارع ونصو

عالرصيف جنب الحيط . يمكن كان ضرب بالحيط ووقع عالرصيف . ما كنت لمحتو ابدا ،مع انو مفروض كان ماشي قدامي ، قبل ما نزلت القذيفي . . ما بعرف منين طلع . كان نصو اللي عالرصيف بدون شكل . . مخبوص ضايع شكلو بالمرة . وِجّوكان من صوبي ، مخلوط مش باقي منو شي . نصو الثاني . . اللي من تحت . . كان مبينلي سليم . . كنت شايفة اجريه . . نعل صباطو نضيف وبنطلونو اخضر . . ما كنت شايفه محل ما انقطع . مرت لحظة ما عدت خايفه انو توقع قذيفي تانيي . . صرت حاسي اني لاطيي بس حتى ما امرق من حدو لما بدّي اقطع عالبيت . . طلع حاجب المدرسي اللي كنت علم فيها . . هيدا كان بعدو عايش بالمدرسي مع المسلحين . . ما تركها . طلع لوحدو . وصرخ بنص الشارع هيدا الياس الجمال . . ما بعرف كيف عرفه . . انا ما كنت بعرفو قبل . بس كان مبين انو الحاجب عم يصرخ لحالو . . عم بيخبر حالو مين القتيل . . ما حدا طلع عالصوت والحاجب دار ضهرو بسرعة وفات من البوابي . . ما عمل شي . . يمكن اذا بتقول هيدا فلان . . بيكون معناها انو مش انت . . وانو مش فلان ولا فلان اللي ما بدك ياهن يموتوا . انا طلعت من البوابي ، ولما وصلت عالشارع حسيت انو ما عاد في شي بيني وبين الرجال المقطوع بالنص . . لا حيط ولا بوابي ولا شي . . حطيت راسي بالارض وبرمت . . رجعت رجوع من شارع تاني بيمرق ورا البنايي اللي فيها بيتنا . ولما صرت بالشارع الثاني ، بلشت اركض ، والكيسين بعدن بإيدي . . لحقت افطن انو عادة بينزل ثلاث أربع قذائف ورا بعض . . ونسيت الرجال المقطوع . . تقريبا نسيتو . . بس وصلت عالبنايي وطلعت اربع طوابق وما عاد نزل ولا قذيفي . بيجوز تكون

انت رميتا هاي القذيفي . .

(يرافق هذا المقطع كل الديكور الذي يصفه : الشارع الفارغ والرصيف تحت شمس النهار ومدخل البناية الذي وقفت فيه زينة . والمكان الذي ظهر فيه حاجب المدرسة . تواكب حركة الكاميرا الحركة التي يصفها المقطع ، وذلك من وجهة نظر زينة . . ولكن لا قتيل في الشارع ، ولا حاجب مدرسة ولا زينة . . لا احد !) .

المشهد التاسع عشر

ليلي داخلي

حيدر : بعدين زمزم صارت تقول : هدوها للطَيْبي ، انشا الله ما بتخلو فيها حجر على حجر . . انا قلها ليش يا زمزم ؟ ما انت متعصبي للطايفي واهل الطيبي متاولي . . بعدين اختك متزوجي بالطيبي . . تقللي انا عندي ولد ما بدي يموت ابني من العطش وما بدي يقنصوني انا وواقفي عالعين . . قللها : هني اهل الطيبي اللي عم يقنصوا يا زمزم . . تقللي : اي ! شباب الطيبي حاملين سلاح وعم يقوصوا علينا . . قللها : ما انت شايفي انو انا كمان حامل سلاح . . بخاطري او غصب عني ؟ . . ترجع تقللي : انا بعرف إنك انت مش عم تستعمل سلاحك . . مش عم تقوص عالطيبي ولا عا غيرها . . قللها انا قاعد مع اللي عم بيقوصو . . عا كل حال . . وبيجوز منشان اختك مش عم قوص . . تقللي : عمرها ما ترجع اختي . . انشاء الله ما يبقى بالطيبي حدا طيب . . لا اختي ولا غيرها . . شو الهن عنا ؟ . . نحنا بدنا نشرب . .

ما كان عندي شي كثير قولو لزمزم انا . . شفت انها عم تحكي جد . . حقد حقيقي مش هيك يعني ساعة غضب وبتمرق . .

بعدين ، مع الوقت ، حسيت انو انا كمان . . شوي شوي ما عم بيعود عندي مانع انو ما يبقى الطيبي حجر على حجر . . انو يموتوا كل صحابي اللي بالطيبي وكل اللي بعرفهن فيها واللي ما بعرفن بس نخلص اذا هيك بتخلص . . ما تفكري انو كنت حاسس اني بكرهن لأهل الطَيْبي . . يمكن زمزم كانت منفعلي . . أنا ابدا ! . . شعور بارد هيك انو يا ريت نخلص من الطيبي واللي فيها . . ولو بدهن يرجعوا يقوصو علينا من غير مطرح . . بيصير بدك تخلصي من هالناس هودي . . اللي مقابيلك . . ما فارقا شوبيجد بعدين . . انا ما قوصت عالطيبي ابدا . . بس لما بلشت احلم انو اللي بالطيبي ماتوا كلن وارتحنا . . ساعتها شفت انو صار لازم نهرب . .

المشهد العشرون

نهاري - ليلي داخلي - خارجي

زينة : انا قلتلو يا استاذ انت واحد كذاب . . وانا راح استغني عنك وعن الشهادة اللي بدي آخذها من وراك . . هيدا الصبي ما دبحوه لأنو سنة ١٨٦٠ الدروز والنصارى دبحوا بعضن . . قبل سني بس اللي دبحوه ما كان ممكن يجرحولو اصبعو . القصة كلها يا استاذ انو نحنا بلد زغير . . مش انو بلد قتالين قتلى . . اكيد بلد مفكك نحنا . . يمكن مش بلد بالمرة . . بس حتى لو ما كنا بلد . . قبل هالحرب ، اللي دبحو هالولد ما كان عندن سبب يدبحوه . . الناس اللي ما دبحوا بيصعب عليهن يتعرفوا على حالهن باللي دبحوا . . بيسوى كتار يفتشو على مبررات للدبح . يقولولك مثلا انو الفريق الثاني بيعمل نفس الشي . . بس ما بيقولو انو هني لو وقع بايدهن

الولد كانوا كمان دبحوه . . ما بيقولو هيك ولا بيحسو هيك . . وهيدا هلق بالحرب . . كيف قبلها ؟ فيه مسافي يا استاذ بين اني لاقيك كذاب ودمك ثقيل وبين اني اقتلك . . مسافي مهمي هيدي يا استاذ . . كثير قلال الناس اللي ما كانوا بحاجة تغتصب صورتهن عن حالن حتى قطعوا هالمسافي. قلال كثير وما بيكفوا تا يقتّلوا هالناس وتايعملوا هالحرب لوحدن . . الباقيين بدك تغتصبهن اغتصاب حقيقي . . نحنا بلد زغير يا استاذ ومفتت . . هيك بس مش اكثر . . بتلاقي جماعة بيتسلحو تيحسّو انهن قوايا بوجه جماعة تانيي . مش حتى يقتلوا حدا . . بعدين لما اصحاب الامر ، بره او جوه ، بياخذوا قرار انو لازم يصير قتل بيصير قتل . كام واحد بيقتلوا كام واحد . . وطالما انو ما في قرار يوقفوا ولا قرار من حدا يوقفهم اللي بدهن ياه بيصير . . ما تقللي يا استاذ ليش الناس ما بيوقفوهن ؟ هيدا اعتراض بيضحك . . كيف بتريد الناس يوقفوهن يا استاذ ؟ ليش الناس بيقدروا يوصلوا ليهن حتى يوقفوهن . . بيعرفوهن مين هني حتى يوقفوهن . . من سنتين كانوا يقولوا ليش عم بيقاتلوا . . ما كان حصل بعد الغرق العمومي بالحرب . . هلق بطلو يقولوا . . ما عاد فيك تعرف اذا فيه حرب او ما فيه حرب،ليش عم تعلق هون ولو عم تهدا هونيك . . بطّلوا يعرفوا شو بدهن يقولوا . . بطلوا مضطرين يقولوا . . صاروا يعرفوا انو الناس يئسوا من انهن يقدروا شي نهار يفرضوا عليهن شي او حتى يسألوهن سؤال . . الناس بيسألوا بعضن بس . . ليش عم بيصير هيك . . بيحسّوا حالهن مشلولين تمام . . كلهن بالشبكي بيسبوا بيسبّوا . . حتى اللي عم بيقاتلوا طول الوقت بيسبّوا لجماعتهن . . بس اللي بايدهن الامر بيعرفوا انو لا المقاتلين اللي معهن ولا الناس اللي حواليهن فيهن يردوهن عن

شي . . بيعرفوا حتى انهن بيقدروا يجندوا شباب قدما بدهن . . اذا ما لقيوا هون بيلاقو هونيك . . بيجندوهن وبيبعثوهن يحاربوا ويسبوا للحرب واللي بعثوهن عليها . .

واصحاب الامر مش فارقا معهن . . صاروا قوايا كثير . . وكل ما صاروا اقوى بيصيروا اضعف . . جورج بيعزم عالبيت ناس بنسمع انو هني الكل بالكل وبيعرفوا كل شي . . بتسألهن الماما شو رح بيصير . . بيحكوا . . انا متأكدي الف بالميي انهن ما بيكونوا عم يكذبوا ولا عم بيحاولوا يخبو . . بشوف هالشي بسهولي . . بس ولا مرة بيقولوا بدها تهدا الا بتعلق . . ولا مرة بيقولو بدها تعلق الا بتهدا . . ما في حدا ، مهما كان قوي بهالبلد ، بيعرف لوين اجريه آخدينو . . انا بشعر انو لو اجتمعوا كلن ، اللي بالشرق واللي بالغرب ، اللي بالجنوب واللي بالشمال . . وقالوا من كل قلبهن خلص ! . . ما في واحد منهن بيقدر يضمنلك انك توصل عشغلك ثاني يوم الصبح .

لو الحرب شي طبيعي بهالبلد . . لو الطائفية ما بدها نفخ الف مرة اكثر مما هيي حتى تصير حرب . . لو الناس بدها الحرب ، ليش بيكون ضروري يشلو كل هالناس ؟ . . نيش بيكون ضروري يرهبوهن ويحطوهن خارج اي قرار . . ليش بيكون ضروري يحوّلوا البلد لشبكة فخوخ بيتصيدوا فيها الناس بألف طريقة وطريقة وبينقولهن القفص اللي لازم يتحركوا فيه بهالحرب . . ليش بيكون ضروري يصير انسب اسم لهالبلد هوي العجز مش لبنان ولا بلوط . .

(في البداية تظهر زينة جالسة في قاعة صف جامعي . . تتكلم

بحدة ، بينما الاستاذ يحدق فيها ببرود . . زملاؤها قلة : سبعة او ثمانية ، موزعون اثنين اثنين في القاعة الكبيرة نسبيا . . احدهم يقاطعها غاضبا وآخرون يتضاحكون بضيق منها ،يشاركهم الاستاذ هذه المرة . توزع زينة غضبها على الجميع ، ثم تأخذ اوراقها وتخرج ، بينما يصفق لها اثنان او ثلاثة من الطلاب ساخرين .

ثم نرى زينة مع والدتها وجورج الى المائدة في المنزل ، مساء . زينة ووالدتها تتناولان طعاما ، بينما ينظف جورج مسدسه على الطاولة نفسها . . تعيد زينة بعض الحركات التي شهدها الصف (جمع الاوراق ، التصفيق) بحيث يظهر انها تروي لوالدتها المجابهة مع الاستاذ . . جورج يستمع ولا يقول شيئا . . بينما والدته تبعد من وقت لآخر يده المسكة بالسلاح (المفكوك) في الاتجاه المقابل . . الوالدة تقول شيئ ما وحركة رأسها ويديها تدل على عدم الرضا عما فعلته زينة . . يهز جورج رأسه متفكرا وهو ينظر الى زينة ، ثم الى المسدس الذي فرغ من تركيبه .

ننتقل الآن الى الخارج في يوم آخر : الاستاذ يحمل حقيبته خارجا من الجامعة وجورج يمشي خلفه مسافة على الرصيف وهو يرتدي ثيابا نصف عسكرية ونصف مدنية ، ومسدسه ظاهر . . بعد اول منعطف ، يربت جورج على كتف الاستاذ مستوقفا . . ثم يقول له بضع كلمات مع حركات تنم عن الحنق والتساؤل . . وحين يبدر من الأستاذ ما يدل على الاحتجاج ، يمسكه جورج بسترته ويدفعه الى الحائط متوعدا ، ثم يتركه ويغادر المكان .

اخيرا نرى زينة وهي تهز جورج هزا عنيفا وتحاول ضربه في صالون المنزل ، وهو يحاول ردها بيديه . .

هكذا نتابع بالصورة مراحل ما جرى . . اما الكلام الذي تقوله زينة فهو يؤدي مضمون الموقف الذي عبرت عنه في الصف قبل ان تقرر ترك الجامعة .

حينما نصل الى الكلام عن « اصحاب الامر » نعود الى غرفة زينة وهي تتحدث امام المسجلة . . تؤدي زينة هذا المقطع الأخير بهدوء وانكسار بعيدين عن الخطابة التي يبدو ان مضمون الكلام يجر اليها . .)

المشهد الحادي والعشرون

ليلي داخلي

(نعتبر هذه اللقطات القصيرة المتتابعة مشهدا واحدا اذ يجري التركيز فيها على الشخصيتين دون ايلاء الديكور اهمية خاصة) .

حيدر : لما بيكون مقابيلك واحد . . فيكي تعرفي شو ممكن يطلع منو ؟ . . لما بتكوني عايشي بين ثلاث ملايين انسان فيكي تعرفي شو ممكن يطلع منهن ؟ . . انتي بتعرفي شو ممكن يطلع منك بكره الصبح ؟ . .

زينة : مش مرتاحة انا . . كأني عاملي شي غلط . . ما عملت شي انا . . ما شي بينذكر .

حيدر : شو يعني يقول الواحد غصبن عني . . فيكي تقولي شو بدكوشومابدك مثل ما بتقولي انو الثلج ابيض والدم احمر . . في اشيا صارت كثير وقلت ما بدي . . بس مش اكيد . .

زينة : ما عملت شي انا . . ليش بدي فل دخلك . . يمكن

قلتلك سبب قبل شوي . . هلق نسيتو . . بس رح فل بكره . . شو الفايدي ؟

حيدر : صعب كثير نقدر شي يوم نرجع عبيتنا . .

زينة : ما بيهم ! . .

المشهد الثاني والعشرون

ليلي داخلي - خارجي

حيدر : بحولا شفنا مرا من عندنا هربت هيي كمان عن طريق الوادي . . وكان صرلها يومين ناطره حدن تتنزل معو لعند جوزها عابيروت . . كانوا معها ولادها: الكبير عمرو ست سنين والزغيري بعدها بترضع . . خبرتنا كيف قطعت بالليل هالثلاثماية متر محل ما الطرفين اللي قاعدين مقابيل بعضن « بالعويذي » و« برب ثلاثين » بيقوصوا تنيناتن عالناس الهربانين بالوادي . . وبيقوصوا عابعضن بس ما يشوفوا حدن هربان . . كانت تؤمن تنين من الولاد ورا صخرة وتحمل واحد وتجر واحد وتركض فيهن مسافة لحد ما تلاقي محل امين . . تحطن . . وترجع تركض لعند الثانيين تجيبن . . ولما يطلع الرصاص تضطر تنزل عالأرض هيي والولد اللي حامليتو . . الثانيين ما تعرف اذا صرلن شي . . بقيت اكثر من نص ساعة حتى قطعت ثلاثماية متر . . بنص ساعة الحاجزين بيقوصوا احيانا عالوادي عشر رشقات او اكثر . . ساعدها كثير ضو القمر . . نحنا كنا خفاف . . مصطفى حامل ابنو وزمزم حاملي صرة ثياب وانا حامل شنطة زغيري والمسجلي ! قطعنا من الكوع للكوع بثلاث اربع دقائق . . ما اكلناها الا رشق واحد مرق من فوق روسنا . . بعدين طفشنا بهالوادي . . الواحد بيفكر حالو ابن المنطقة وبيعرف . . نحنا

تقريبا ضعنا . . بقينا اكثر من ساعتين حتى وصلنا على مفرق مركبا .

(تظهر زينة على شباكها وقد اوقفت المسجلة . . تحت بصرها يمتد شارع طويل ، ضيق . . بقي من انواره مصباح واحد مضاء . . يرسل ضوءاً شاحبا . . مداخل البنايات موحشة . . وبعض النوافذ المتقابلة مفتوحة والغرف خلفها مظلمة توحي بالخطر . . تمر في دائرة الضوء هرة مضطربة . . وتغلق زينة الشباك وتعود لتدير المسجلة) .

المشهد الثالث والعشرون

ليلي خارجي ـ داخلي

زينة : لما كنت عم قلك الصبح عالتلفون قديش حابي احكي معك . . سألت حالي كيف انت بتستقبل هالكلام بعد . . قديش صرلي ما شفتك ؟ اكثر من سنتين ونص ؟ رح تتذكر اني كنت دايما اسمع صوتك واحكي معك وانو الحكي والسمع كانو كل هالعلاقة الغريبي بيني وبينك ؟ . والله رح تقول : هودي الموارني طلعوا من الحرب وجايين يقعدوا عركابي . . اسمع يا عزيزي : الموارني مش فاضيينلك . . هيئتهن ما رح يعودوا فاضيين الا لبعض . . هيك انا شفت، اليوم بالقهوي . . مثلن مثل غيرن عا كل حال . . هلق انا بدي ما تكون نسيتني . إذا بعدك متذكرني مش رح تقول : اجو الموارني ! . . انا بنت يا عيني مش طايفي !

(تسلك الكاميرا رجوعا الطريق من شباك زينة الى بولفار فؤاد شهاب فالرينغ المقطوع ـ وهي الطريق التي كنا رأيناها ذهابا في الصباح . . وحين تصل الى حاجز الحجارة الذي يقطع الرينغ تتوقف

عنده بغتة وتبقى لحظات مثبتة عليه . الحاجز هزيل ولكن منظر البنايات العالية من حوله مريب في ضوء القمر . . بينما تلفظ زينة الكلمات الاخيرة نرى حيدراً واقفا في شرفته يراقب المدينة . . ثم انه يدخل من بابه المعهود ويعود ليجلس امام المسجلة) .

المشهد الرابع والعشرون

ليلي - نهاري داخلي

زينة الآن نائمة في سريرها . الحقائب ما زالت مفتوحة والخزانة مفتوحة ايضا على عتمتها الغامضة . صندوق الشريط الرسالة الى جانب آلة التسجيل فوق طاولة « التواليت» . . بجانب السرير الكتاب الذي اخرجته زينة من المكتبة الصغيرة ليرده جورج الى مكتبة الجامعة . على الغلاف **تاريخ يوسف بك كرم** ، يقرأ تحت ضوء النواصة الخافتة .

تحلم زينة : هي في « قبو » قديم كأنه خارج لتوه من كتب الدعاية السياحية . هي واقفة رافعة يديها قابضة بيدها على الشريط ـ الرسالة . يقف في مواجهتها يوسف بك كرم بثيابه التقليدية وطربوشه . سيفه مجرد مصوب الى بطنها . في زاوية نرى جورج ينظر الى كرم الذي يشير اليه برأسه . فيتقدم خطوة ويخرج الكتاب نفسه (تاريخ يوسف بك كرم) ويقرأ :

« **قال الراوي** » : فلما فرغ عسكر ابو الريش من قصيده ، دمدم وهمهم وتكبر وتعظم ، وخليل ابو شبل البشراوي من نحوه تقدم . وصرخ فيه صوتا مثل الرعد القاصف رجت له الوديان والمشارف . وبادره بضربة قتالة (. . .)

(يتوقف جورج عن القراءة ويحك جبينه كأنه يتذكر ، مكررا باضطراب : « بضربة قتالة » ، رغم ان الكتاب في يده . . تنجده زينة مكملة : « قطع بها هامه ») .

جورج : صح . . قطع بها هامه فتدحرج كالبطيخة قدامه ، فحينئذ صاح بطرس توما لا شلت يداك والرب من العدو نجاك ، وحَوْرَب باسم الله واسم البَك . وقال هيك ضرب المهند هيك ، وهمر مثل الاسد الغضبان ، وهجم على الاعداء وماجت وراءه الفرسان ، وصرخوا هذا اليوم من ايام مردة لبنان ، ثم خاضوا في الحرب والصدام الى أن طلب عسكر ابو الريش الانهزام . . » .

في هذه الاثناء تؤدي والدة زينة (في محاولة منها لاسترضاء كرم وحمله على العفو عن ابنتها) رقصة جنسية فاقعة ، مقدمة ثدييها (بكل بؤس كهولتها) لـ« بطل لبنان » . ولكن يوسف بك لا يلتفت اليها . اثناء تلاوة النص يتزايد خوف زينة التي لا تقول شيئا . عند انتهاء جورج من التلاوة تنظر زينة اليه للمرة الاولى لعله يستعطف لها كرما . . تكتشف مندهشة ان حاجبي جورج اختفيا تماما . . في هذه اللحظة يغرز كرم السيف في بطنها .

(في المشهد كله يظهر على جورج عدم الاقتناع بدوره : يبتسم لزينة معتذرا وهو يقرأ . . وكذلك الوالدة التي تقطع رقصتها متأففة احيانا من عدم التفات كرم اليها) . .

تستيقظ زينة منزعجة وتقوم من سريرها . نرى التواليت مضاءة ونسمع صوت تبولها وهي جالسة على كرسي التواليت خلف الباب المشقوق .

المشهد الخامس والعشرون

ليلي داخلي

حيدر : يا زينة صرلي ساعتين عم بحكي لوحدي . . بتعرفي شو يعني الواحد يحكي مع حالو ساعتين ؟ . . لازم تعرفي لانو هلق انت عم تعملي الشي ذاتو . . بس يمكن انت ما فيكي تعرفي . . انا بقول يا زينة ، يا زينة وما في زينة . . بكره رايحة . . شو بدو يبقالي منك انا ؟ وشو بقيلي اصلا بعد هالثلاث سنين . . خليني اسألك كمان شو كان الي منك قبل ها الثلاث سنين ؟ ما فيي قول : ولا شي ! كنت فرحة وحلوي . . وانا لما كنت التقي بهالفرح وبهالحلا . . ما كان يخطر لي اطلب شي الي . . كان يكفيني كون فرصة الك انا . . فرصة حتى تقعدي وتمشي . . وتحكي وتضحكي عالأشيا اللي بتقوليها . . شي مرة حدن قلك انو انتي ما تبتسمي ابدا . . مبلا مرات بيطلع معك ابتسامة لياقة . . خارج اللياقة ، بْتَبَيّني فرحة بدون ما تبتسمي . . عندك حيوية اللي بيحبوا حالن . . بتعملي حركات وبيطلع فرحك من الحركة . . وبتنقلي دغري من الحركة عالضحك . . بدك دايما تعملي صوت . . في الك ضحكات بتبين انها طلعت مطرح الابتسام . . بتبقى الضحكي ابتسامي الها صوت . . انا كنت فرصة لها الاشيا . . وفي مرات احزن لاني حس انك بوسط كل الضجة اللي بتعمليها بتضلي لحالك . . وانو انا مش قادر كون شريك ، بس محرض وشاهد . . ولما يجي دوري اشعر انك مبسوطة تسمعيني . . بس كيف يعني مبسوطة ؟ مرات كثير تكوني مثل اللي عم يستهلك شي حلو . . هاي طريقتك . . كنت تحطيني بره . . بتحبي حالك انت يا زينة . . بيطلعلك صحيح . .

بس بتحبي حالك شوي اكثر مما بيسوي . . شوي زغيري اكثر . . مع هيدا انا ممنونك . . ما بعرف كيف صرت بعد هالحرب . . الناس اللي فايض عليهن الحزن من الأول للأخير كانوا يمنعوا الناس اللي مثلك انهن يصيروا قاسيين كثير . هيدا كان قبل الحرب . هلق ما بعرف كيف صرتي يا زينة !

(يمد حيدر يده ، بعد الجمل الأولى ، ويطفيء المسجلة . يتأملها لحظة . . ثم يوجه اليها الكلام وهي مطفأة)

(وفي القسم الاول من الكلام يظهر حيدر وقد أفرغ نصف القنينة ، وصار في حالة قريبة من السكر . . وقد يقوم ويتمشى في الغرفة متوجهاً من وقت لآخر الى المسجلة نفسها . . بعد ذلك ـ عند تطرق حيدر الى حب زينة لنفسها ـ نرى زينة وقد عادت الى سريرها ، تغط في نوم عميق ، وسط غرفتها المنبوشة) .

المقطع الرابع

المطار

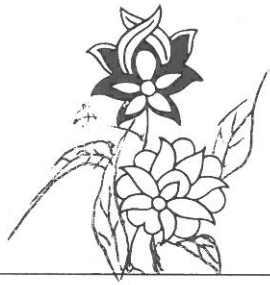

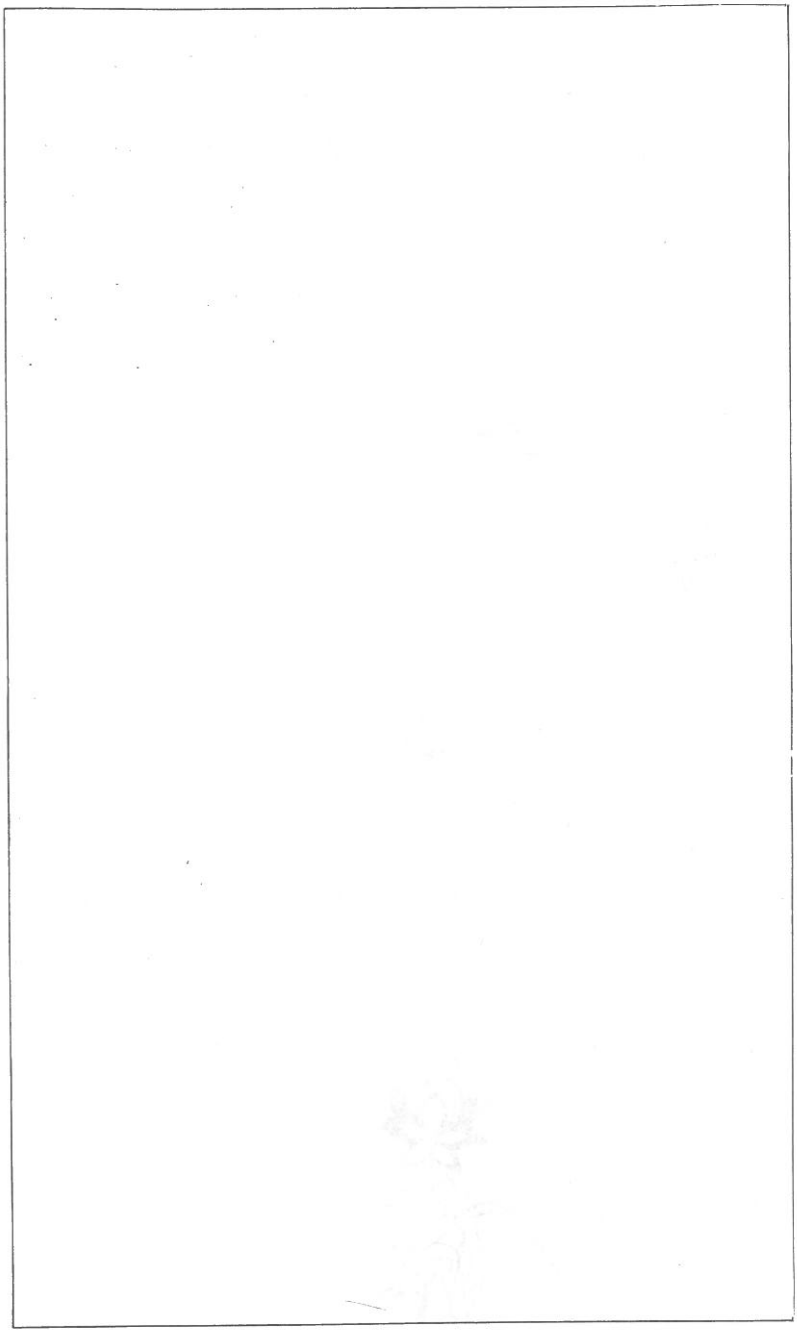

المشهد الاول

نهاري خارجي

المطار . حيدر واقف على الرصيف امام مبنى محطة المطار . في يده زوج الكاسيت التي سجل حديثه لزينة عليها . . رجل خمسيني يبدو مصابا بـ« الجهر » (يمد عنقه الى الامام باستمرار ويحدق مليا ليرى) . . يمر من امام حيدر ثم يتوقف محدقا فيه لحظة ويسأله بلهجة فيها مزيج من السذاجة والمطالبة بكشف سر شخصي :

الرجل : قديش الساعة استاذ ؟

حيدر (مشيرا بيده الى ساعة المطار خلفه دون ان ينظر اليها) : ـ الساعة سبعة ونص .

الرجل : هه . . ساعة الدولي مضبوطة ؟ . . الحمد لله ! . . (يتأملها بجهد واعجاب) .

اقبال المسافرين ما زال خفيفا للغاية والباحة شبه خالية . . عتالون يقفون ومعهم عرباتهم لاستقبال الامتعة . . امرأة صبية تضع غطاء للرأس معها ثلاثة اولاد متقاربي العمر تصل في سيارة . . ينزل اثنان من الحمالين الحقائب ويدخلان امامها من باب المسافرين . .

بينما تبتعد السيارة ، وسائقها يشير الى انه عائد . . تتقدم المرأة والاولاد . . يدقق الشرطي الجالس على الباب في جوازاتهم ويدعهم يدخلون . . حيدر ينظر من بعيد ثم يتقدم .

المشهد الثاني

نهاري داخلي

زينة ووالدتها تنهيان اقفال آخر حقيبة في غرفة النوم . . تقفل بصعوبة . . الخزانة مفتوحة وشبه فارغة . . وراء الباب نصف المغلق حمالة الاحذية خالية . . المكتبة سحبت منها بعض الكتب التي كنا رأيناها موضوعة بعضها فوق بعض . . كتاب « تاريخ يوسف بك كرم » موضوع جانبا ليرده جورج الى مكتبة الجامعة . . المسجلة في موضعها المعهود وما زال بجانبها صندوق كاسيت فارغ . .

الوالدة (صارخة) : يا جورج! جيب الميزان من الحمام . .

جورج (من الداخل) : لحظة !

في هذا الوقت تستخرج زينة الكاسيت التي سجلت عليها رسالتها من المسجلة وتضعها في صندوقها ثم تأخذ حقيبة يدها عن السرير وتودع الكاسيت داخل الحقيبة . .

يدخل جورج ومعه ميزان الحمام . . تساعده زينة على وضع الحقائب الثلاث فوق الميزان . . بينما تنظر الوالدة الى لوحة الميزان .

الوالدة : انشا الله ما يدفعوكي عليهن كثير .

جورج : والله ما بعرف انا تلفنت مبارح لنعيم ابو ملحم . . وقال انو هوي بيكون من الساعة ثماني ناطرنا . . انتخى كثير وقال

انو قد ما تكون الحمولي ، ما تحمل هم . . ما بندفع ولا قرش . .

الوالدة (بينما يرفع جورج الحقيبة الاخيرة) : سبعة واربعين كيلو من عدا اللي بدها تحملن بايدها .

انتحت زينة جانبا . وهي تنظر صامتة الى غرفتها الموحشة ، والدموع في عينيها . .

جورج : (مازحا وهو ما يزال امام الحقائب لا يرى زينة) : خليها تبين معك ست زيزي . . يكونوا ميت كيلو بنمرقهن . . وما تحطيلي بجيبتي ولا حق فنجان قهوي . . اختي حبيبتي . . بس حتى تعرفي مين جورج ومين صحاب جورج بالبلد . .

الوالدة : هيه . . اطلع عكتافنا يا ولد! . . خلصنا بقى ! . . كل عمرها اختك فضلها عا راسك .

زينة : (تواجهه الآن واضعة يديها على خصرها بتحدّ) : والله ما عدت قليل يا ابو الجوج . . مش بس حواجبك مظبطين ، الا معك حق كمان . . ما عنديش انا صحاب يمرقولي حمولي بالطيارة . . بس انا عندي اصحاب بيحملوا الهم اللي انا حامليتو منك ومن صحابك . .

جورج (معتذرا) : عم بمزح . . ولو زيزي . . هَمّ شو محملك انا ؟

زينة (لا تخرج من انفعالها) : انا صحابي بتعرف مين ؟ اللي فيي قلهن انو ما خصني باصحابك ولا باللي عملوه اصحابك . . وانا بهالايام اذا ما قلت هيك بيكون اشرف لي حط قفل عتميّ . .

جورج (عاتبا من جديد) : عال ! . . قوليلهن لصحابك انو ما خصك فيي انا كمان . . تْبَرّي مني ، يا ست زينة . . عا كل حال شو انا ما بعرفهن اصحابك ؟ شو عندن غير بضاعة الحكي ؟

زينة : هيدي البضاعة اللي بتعجبني . . انا والله مبسوطة فيهن لأنو ما عندن بضاعة غيرها . .

(في هذه الاثناء قام جورج باخراج الحقائب الى الممر ، واحدة بعد الاخرى . . بينما الام التي تبدو معتادة هذا الجدل - لا تكترث له كثيرا - اغلقت الخزانة ، وجمعت بعض الاشياء المتناثرة في الغرفة ، بطريقة مؤقتة ، ورتبت سرير زينة دون عناية كبيرة)

الوالدة (نافضة يديها) : مشونا ، ياالله ، بيعوها برسمالها . . اذا ما عاد فيه شي نعملو ، صار لازم نمشي .

المشهد الثالث

نهاري خارجي

حيدر يقف الآن امام باب المسافرين ، غير بعيد عن الشرطي . . يلمحه الشرطي ويبدو انه عرفه . .

الشرطي : صباح الخير يا استاذ حيدر! (يتقدم منه حيدر ويصافحه) .

حيدر : صباح النور . . مش عارفك بلا زغرة . .

الشرطي : خليل مراد من عيترون . . كنت تلميذك سنة السبعين .

حيدر : مش غريب الاسم علبي . . اهلا . . بس الواحد

بينسى . . التلاميذ بيكبروا بسرعة . . بيتغيروا كثير . . هني اوفى من المعلمين ، بيضلن يتذكروهن .

الشرطي : يعني يا استاذ . . المعلم شو بدو يتذكر تا يتذكر . . بيمر عليكن وجوه كثير . .

حيدر : أي والله !

الشرطي : انا هون مثلا ! . . بقدر اتذكر وجوه المسافرين كلن ؟ يمكن الف وجه كل يوم . .

حيدر : لو الواحد بيتذكر كل الوجوه وكل الاشيا اللي بيشوفا ! . .

الشرطي : لشو تعب القلب ؟

حيدر : يمكن كان الواحد بيحس انو الوقت اللي بيمر عم يبقى منو شي (متأستذا) بيصير كأنو عم بيصمد الوقت . . انا . . على قد ما ذاكرتي ضعيفي ، فيه ايام بشعر اني عم بكبر عالفاضي . .

الشرطي : (مبتسما) : يعني فيها وما فيها يا استاذ . . على كتر ما عم بنشوف مصايب ، اكيد لو ما بننسى كنا بنجن . .

حيدر : اكيد . . (متذكرا) عندك المصايب اللي بتصير قدام الواحد . . وعندك المصايب اللي كل واحد بيشوفها بحالو . . بتضلها بينو وبين حالو . .

الشرطي: اضرب من بعض يا استاذ .

حيدر : لا والله يا خليل . اللي بيكون بينك وبين حالك اذا ما حكيتو لحدن ، بيجوز بعد مدة تنساه . .

الشرطي (متثائباً ، وهو لا يزال يساير) : احسن !

حيدر : اما اذا الواحد لحق وحكي . . خلص . . بيبطل يقدر ينسى . . ما بيعود فيه حل .

الشرطي : عا كل حال ما في حل . . هيدي الدني . . اللي بتنساه بيجيك غيرو . . (لحظة صمت ، ثم يعمد الشرطي الى تغيير الحديث ، بعد ان استمتع بفرصة النقاش مع « الاستاذ » اول الامر ، ثم ضجر بسرعة) . . ما سألتك يا استاذ اذا بيلزم خدمة . . اذا بتريد شي من المطار . . انت الك فضل علبي . .

حيدر : ممنون . . لا والله . . جايي ودع زميلة قديمة . . عرفت انها مسافرة عا اميركا . . بعدها ما وصلت . .

الشرطي : بكير . . الطيارة الساعة تسعة ونص .

حيدر : عارف . . بَكَّرْتْ انا حسبت حساب العجقة . . طلع ما فيه عجقة . .

(يمر على الرصيف الرجل الاجهر وينظر لحظة ، من بعيد ، في وجه حيدر ، بطريقته المعهودة ، ثم يشيح ببصره ، حذرا ، ويحث الخطى عندما تلتقي عينه عين الشرطي . يضحك هذا الاخير . .)

الشرطي (مخاطبا حيدر) : شو كان بدو منك هيدا ، سرحان ، شفتو عم يحكي معك قبل شوي ؟

حيدر : سألني عن الساعة بس . . مين هيدا ؟

الشرطي : هيدا بيجي كل يوم تقريبا لهون . . مرات بيرصد واحد انو مهاجر . . مش مسافر عادي . . بيلبص عليه بدو يقنعوا انو بلاها . . بيقللوا انو بعد جمعتين ثلاثي رح تنحل . . انو هوي

عندو معلومات انها رح تنحل . . وانو البلد بعدين ، يا لطيف ! رح يصير جني . . هيئتو ساكن هون قريب ، بشوفو جايي ماشي من الصبح البكير . . الشهر الماضي قنع واحد كان مسافر على استراليا انو الطيارة مؤخرة ساعتين . . رجال غشيم هيداك صدقوا . . وفاتتو الطيارة عن جد . . ندهولو مرتين باسمو . . وسرحان يقللوا ما تتعذب عم يندهو لك تيقولولك انو الطيارة مؤخرة . . بعد منها هرب سرحان بقي جمعة ما بين هون . . بعدين لما اجا لقطوه الشرطة حققوا معو . . وحياتك نكر . . نحنا كنا عارفينو . . بس الزلمي ما كان موجود حتى يشهد عليه . . عا كل حال انتبه منو . . في ايام بيغير الموال . . بيصير بدو عشر ليرات . . بيقولو كاين صاحب نعمه بزمانو . . واكلها بالحرب . . .

(في هذه الاثناء نزل من سيارة تاكسي عجوز في حدود الثمانين . . بطيء المشية يضع كوفية سوداء وعقالا ، اناقته الفقيرة من عهد آخر . . صدرية وجاكيت مفتوحة عن سلسال ساعة غليظ ابيض يقطع الصدرية ، وبنطلون اطول بقليل مما ينبغي . . لم يستمع حيدر جيدا الى حكاية سرحان الاخيرة التي رواها الشرطي ، اذ كان يراقب حركة العجوز) .

مع هذا الاخير رجل في حدود الخمسين ، يرتدي كوفية بيضاء وعقالا . . يحمل العجوز كيسا كبيرا من النايلون ، فيه حوائجه ، اما مرافقه فيفتح صندوق التاكسي ليتناول منه حقيبة كبيرة . يتقدم منه احد الحمالين محاولا أخذ الحقيبة ، ويسأله :

الحمال : اي طيارة ؟

الرجل : (مشيرا الى العجوز ، يردع الحمال بشيء من

الحزم) : ما معو غير هالشنطة ، انا بحملها .

يتقدمان نحو الباب ، فيستوقفهما الشرطي (وحيدر ينظر) .

الشرطي : مسافرين ؟ .

الرجل : عمي هوي المسافر . . بس اذا سمحت بدي فوت ساعدو شوي . . ما بيعرفش يدبر امورو لوحدو .

العجوز : بكون ممنونك يا افندي .

الشرطي : تكرم يا عم . . فرجيني باسبورك . . وتذكرة الاخ . .

(يقدم العجوز اوراقه والرجل تذكرة هويته . . يفتحها الشرطي ويتأمل الجواز قليلا ثم يرفع رأسه بدهشة متعبة ويسأل العجوز) :

الشرطي : مبين معك فيزة هجرة يا عم ؟ العمر الطويل انشا الله ـ بس بعد الك جَلَد تعمل اميركاني وتبلش من جديد ؟

العجوز : جلد ما عاد فيه . . مهاجرين من قلة الجلد يا افندي . . ما عاد الي شي بهالبلد . . ولا حدن يشيل حمل معي . .

الرجل : (وكأنه احرج) : كلنا عحسابك يا عمي . . ولو ! لو انت قبلت كان بيتنا بيتك . . (للشرطي) عمي كل ولادو بأميركا . . سحبوا بعضن نسوان ورجال . . السنة توفت الختيارة بقي لوحدو . . ما قبل ييجي يسكن عنا . . بدو يهاجر لعند ولادو .

الشرطي : (معيدا الاوراق) : الله يعيننا عالكبر . . تفضلوا . (يدخلان) . .

(لحيدر) بعدك بتقللي يا استاذ انو منيح يتذكر الواحد . . منيح يصمد وقت . . هيدا الحاج شو بدو بالوقت يصمدوا ؟ . ثمانين سنة عمر بيذريهن الهوا بلحظة . . احسنلو لو بيقدر ينساهم . . يمكن كان احسنلو يموت .

حيدر (بعجز) : ما بعرف . . (مغيرا الموضوع) : قللي : الهيئة اكثر اللي عم بيهاجروا من هالمتاولي . . شفت مرا اجت مع ولادا . . مبيني من صوبنا ـ وهلق هيدا الحاج . .

الشرطي : لا والله . . فيه هجرة من كل المناطق . . بس فيه ناس من هالقرايا . . بحياتن بيكونوا مش مسافرين . . بيبكروا عالمطار . . بيقولولن بالشركة تعوا قبل بساعة . . بيجوا قبل ساعتين . . مرات قبل ثلاث ساعات . بس الله ما يبليهن بسرحان .

حيدر : طيب يا خليل . . هلق برجع بشوفك . . يمكن بدي فوت اشرب فنجان قهوي .

الشرطي : انسرّيت بشوفتك يا استاذ . . الله معك . .

المشهد الرابع

نهاري خارجي

في المكان الذي شهد حادثة الشاي . زحمة السير اقل كثافة مما كانت عليه البارحة . حارس اكبر سنا بكثير من الذي كان امس ، اشيب ومتكرش يجلس على الكرسي نفسه وهو نصف نائم ، معتمدا على بندقيته . في السيارة زينة تجلس وحدها ، في المقعد الخلفي . جورج خلف المقود ووالدته الى جانبه . يلف الثلاثة صمت حزين

ترسمه عينا زينة وهي تتأمل الحي ، من السيارة المتوقفة . تتحرك السيارات قليلا ويقلع جورج ، تنتبه زينة وتنظر الى ساعتها .

زينة : الساعة ٨ الا عشرة هيئتنا رح نتأخر .

جورج : لا . لا . هلق بس نوصل عالسوديكو بتخف العجقة كثير . ما بدنا اكثر من ثلث ساعة وبنكون بالمطار .

زينة : قلت لحيدر . . ينطرني الساعة ٨ عالباب . إلي معو غرض بدو يعطيني ياه .

جورج : بيستنا عشر دقايق . . بيعرف انو فيه عجقة وانو مش معقول ما تيجي . . اللي بدو يسافر بالطيارة بدو ييجي عالمطار .

زينة (كما لنفسها) : اي . . حيدر بيعرف انو فيه عجقة بالبلد (تضحك بعصبية) .

جورج : وعيتيني مبارح نص الليل . . سمعتك عم تضحكي لوحدك بالاوضة . . قلت زينة جنت . . اهل اميركا رح يزيدو مجنوني . . بس كنت نعسان كثير ورجعت غفيت اوام .

زينة (مبتلعة ريقها) : كنت عم عبيلك الاوضة ضحك قبل ما اتركها . . قلت : حرام جورج ما بيعرف يضحك . . كل ما تضحك بحس كأنك عم بتقول لحالك : ما في شي بيضحّك . .

(تداعب شعره لاسترضائه) . . بعدك ناوي تاخدلي اوضتي ؟

جورج : وانت بعدك ما بدك تعطيني ياها ؟

زينة : لا . . بس شوفيني اعمل اذا اخذتها ؟

جورج : ما حدا بيعبي مطرحك ست زينة !

زينة : (وهي تنظر مرة اخرى الى الحي . . تقول بجدية حزينة كأنها لم تعد تخاطب جورج) : ما حدا . . ما حدا بيعبي مطرح حدا . . ابدا ! . .

تخرج السيارة من الاشرفية : بينما تكرج على خد الوالدة دمعة صامتة .

المشهد الخامس

نهاري خارجي

حيدر يتمشى على الرصيف . . ساعة المطار ثمانية الا سبع دقائق . . السيارات تفد الآن متلاحقة . . تمر من امامه وهو ينظر الى كل منها ، ويزداد اضطرابا . . يبلغ انفعاله حدا يجعل المارة ينظرون اليه بشيء من الدهشة المتفهمة ، وكأنهم يظنون ان حيدرا ودع لتوه شخصا عزيزا . ينظر حيدر الى زوج الكاسيت في يده ، ثم يضعه في جيبه وكأنه يريد اخفاءه . تظل الكاسيت ظاهرة في الجيب الضيق . . ويتصرف حيدر وكأنه مراقب . وكأن أحداً سيضبطه حائزا هاتين الكاسيتين . . يعيد سحب الكاسيتين من جيبه وينظر اليهما . . ثم يعاود النظر بخوف الى السيارات التي تمر . . يتوقف تاكسي فارغ ويمد السائق رأسه سائلا :

السائق : تاكسي استاذ ؟

يشير حيدر برأسه نفيا . . ويتنبه الى انه صار واقفا على حافة الرصيف ، في مكان يغري السائقين بالتوقف . . فيتراجع قليلا . .

ما زال سرحان يراقبه عن بعد ، وهو الآن يلتقي نظرته . . يبتسم

له حيدر ابتسامة عصبية لا يلبث ان « يستردها » . . ولكن سرحان يقابلها بابتسامة عريضة بلهاء ويقترب .

سرحان: بدك شي ؟ بتريد تقللي شي ؟

حيدر (من عالم آخر) : لأ . . انا . . ما بدي . . ما وصلت بوقتك يا سرحان . . ما بدي قول لحدا شي . .

مع عبارته الأخيرة يبدو حيدر كمن استيقظ من دوار ، فيقفز بغتة من مكانه في اتجاه الطريق ، مع مرور سيارة فارغة . .

حيدر : تاكسي !

يقول للسائق كلمتين وهو ما يزال ينظر الى السيارات القادمة وكأنه يخاف ان تكون زينة في احداها . . ثم يتخذ مكانه في المقعد الخلفي . . ومع صفير الدواليب حين يقلع التاكسي ، تعود النغمة التي ترافق الرندحة ، ثم ينطلق الصوت . . نرى حيدرا في التاكسي المسرع لا يزال يمد رأسه جاهدا ليلمح ركاب السيارات القادمة في الاتجاه المقابل ، وهي تمر بسرعة ايضا . . حل الحزن الهاديء على وجهه الآن محل الاضطراب . . يفتح شباك السيارة قليلا ويرمي اولا صندوقي الكاسيت الفارغين . . ثم يكسر كلا من الكاسيت بين يديه ويستخرج الشريط . . يفركه ويعصره بين يديه حتى لا يعود صالحا لشيء ويرميه على طريق المطار . . وبينما يضيع التاكسي في زحمة السيارات العائدة الى المدينة فيركن حيدر وقد فقد امله المجنون في مشاهدة زينة ، ينتهي المشهد على شريط يطير به الريح نحو المطار وآخر عالق في مكانه بعشبة ما ، تدوس اطرافه السيارات العابرة .

المشهد السادس

نهاري خارجي

تصل السيارة التي تقل زينة الى امام الباب في المطار حيث يجلس الشرطي ويقف الحمالون . تنزل زينة ووالدتها وجورج . مع زينة حقائب يدها . تضعها على الرصيف ، وهي تتلفت بشيء من القلق باحثة عن حيدر . يفتح جورج الصندوق . . ويتقدم احد الحمالين يأخذ الحقائب الثلاث مستفسرا عن وجهة المسافر. تتدخل زينة لتطلب الى الحمال ان يبقي كل شيء في مكانه ، لأنها لا تريد ان تدخل الآن من باب المسافرين . تطلب من والدتها ان تبقى لحظة في حراسة الحقائب ، مشيرة الى انها تريد ان تبحث عن شخص في الجهة الاخرى من بهو المطار (جهة المستقبلين والمودعين) . هذا بينما يعود جورج الى السيارة ليقودها نحو الموقف . تهرع زينة الى الجهة الاخرى وتبدأ البحث عن حيدر . يتزايد قلقها كلما بحثت في زاوية جديدة الى ان يتحول ، في النهاية، الى هلع حقيقي . تفتش بين الناس في البهو . ثم تخرج الى الشرفة . . حيث يصادفها سرحان الذي يطرح عليها سؤالا ما ، ولكنها لا تعيره التفاتا . . ثم تعود وهي لا تزال تفتش وتصعد الدرج لاهثة الى المقهى فالى المطعم .

يعود جورج ، في هذه الاثناء ، الى والدته التي ما زالت تحرس الحقائب ، بعد ان اوقف السيارة . يستفسر عن زينة فتشير الوالدة الى انها ما زالت في الجهة الأخرى . ينتظر لحظة . لكنه ينظر الى ساعته ويبدو منه ما ينم عن الاستهجان . ينطلق للبحث عن زينة ولا يلبث ان يجدها جالسة القرفصاء وراء احد الاعمدة الكبيرة في البهو ، وهي تبكي بكاء مرا . يقف امامها في صمت ، الى ان تنظر

اليه ، يتقدم منها ويساعدها بلطف على الوقوف . نرى الكاسيت في يد زينة التي تعيده الى حقيبتها الصغيرة . وتخرج منها منديلا تمسح به دموعها . هذا بينما يتأبط جورج ذراعها ويعودان الى حيث الوالدة . يشير جورج بيده الى حمال يبدأ برفع الحقائب على العربة . لا نلبث ان نشهد اقلاع الطائرة . .

ترافق هذه المشاهد الابيات التالية

آ . . يا بلد !

ما عاد فيكي سنكري

يعمل بإيدو فرودة الفلين

تيهيصوا زغارك

نهار العيد

ويعمل النواصات

اللي تصيح من عظم المصاب

بليل عاشورا . .

ما عاد فيكي عيد

وغفّت على البيدر الجبّاني

وراحوا القهاوي

ما بقي للمرحبا

الا طريق السوق بعد الصبح

وقبل المسا

ساحة الجباني !

يا بلد !

يا عمر ساعة معطلي

يا وقت اسمو معارفة الوجوه . .

يا بلد يا عيد !

نهرب ونتمشى

ورا كروم الرضا

نمشي تيمشي العمر

ولليوم ما استرجيت اكتب اسمها

اللي كنت غنيلا !

والله بيقتلوني !

مش وقتها يعني بلا هالولدني

يقولوا : هربْت من البلد

من اوشم الموتات

تايقتلك

اسم اللي كنت تحبها

من شي خمستعشر سني !

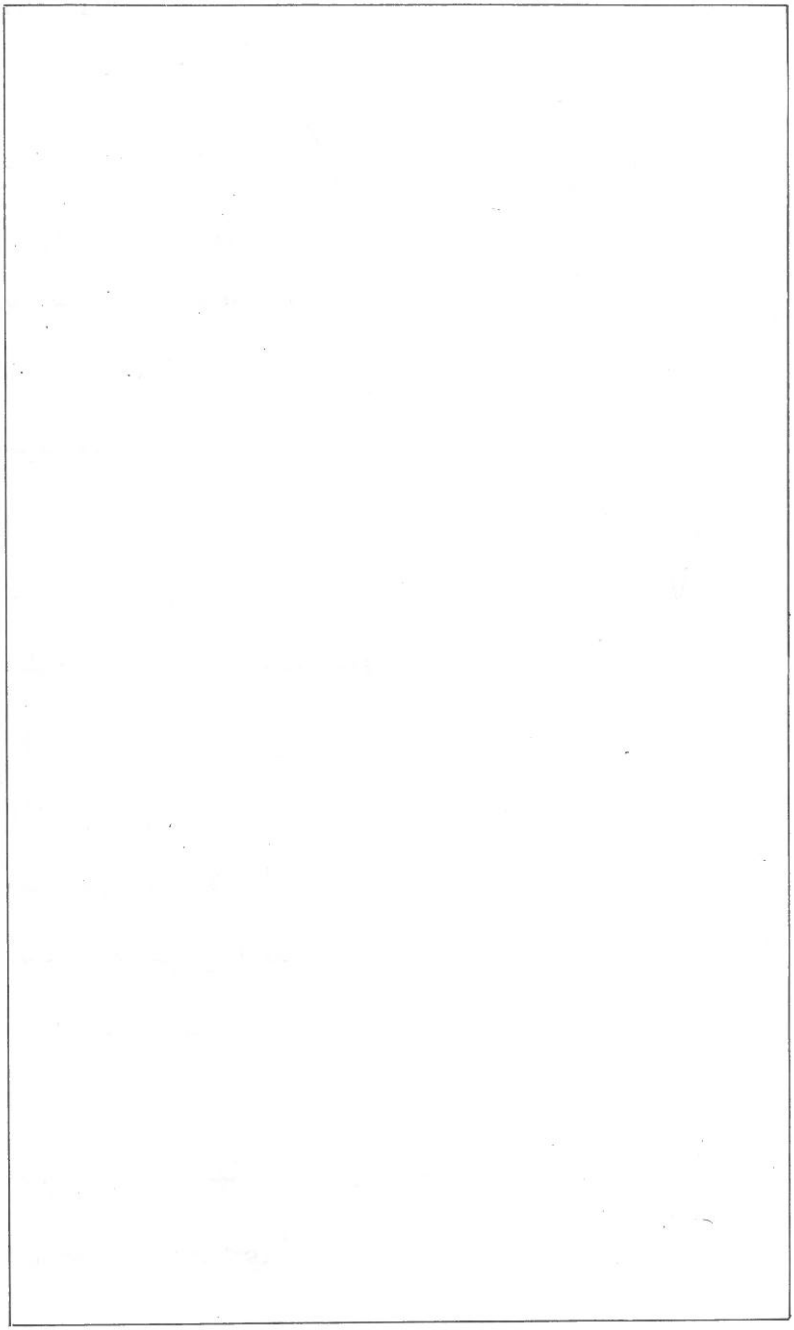

المقطع الخامس

الحفلة

مشهد وحيد

ليلي داخلي

منزل المخرج . . صالون وغرفة طعام كبيران . اثاثهما قليل ، ليس غاليا ولا فخما . لكن تنسيقه وبعض القطع الصغيرة فيه (« تحف » رخيصة ، لوحات ، تجهيز موسيقي) توحي بأن صاحب البيت من المثقفين ، وبأنه يرغب في الظهور بمظهر « الشرقي » من جهة وبمظهر « الحديث » صاحب التراكيب المبتكرة من جهة اخرى . .

السهرة « حفلة » خاصة (شراب مع بوفيه بسيط) اقامها المخرج للذين عملوا معه في الفيلم بمناسبة انتهاء العمل . الحضور نحو عشرين بينهم الممثلون الرئيسيون وآخرون يفترض انهم من الفنيين او من الاصدقاء . حلقات صغيرة موزعة بين الكراسي المتناثرة والسجادة . . والبعض وقوف . . واحاديث متفرقة تدور نسمعها في صورة لغط تتميز من سديمه عبارات الحوار . امرأة (لم نرها سابقا) يفترض انها ربة المنزل ، تطمئن الى ان ضيوفها (الذين يخدمون انفسهم) قد ملأوا كؤوسهم . . وتسأل هذا او ذاك ان كان يريد ان تسكب له شيئا . تطلب من المخرج نفسه المساعدة :

الزوجة : يا برهان شوف صحابك هونيك شو بياخذوا

المخرج : شو القصة معك ، بيتك يا عمي . . مين بيريد ويسكي (يملأ كأسا) .

ام جورج : انا باخذ كاس من اخراجك . . بس زدلو ثلجة لو سمحت . .

مصطفى : بكره بنشوف اذا اخراج السكرة اظبط او اخراج الفيلم . .

طوال المشهد كله تستخدم الاسماء الحقيقية التي يعرفها المشاهد من « مقدمة » الفيلم . . يراد اقناع المشاهد بأن المشهد لا دخل له بالفيلم ، وبأن الحفلة جرت في عالم « الواقع » وتم تصويرها للذكرى . . يبدو على الحاضرين بعض الاهتمام بالتصوير ، ويقوم واحد او اثنان بحركات صبيانية للكاميرا . . لا يظهر المصور طبعا ، لكننا نسمعه يرد على طلب او ملاحظة . .ها هنا نستعمل مؤقتا الأسماء التي كنا وضعناها للشخصيات ونطلق اسماء مؤقتة ايضا على من لم يكن لهم اسماء . . وذلك على ان يتم ابدالها حالما نقف على اسماء الممثلين الحقيقية .

سرحان (الجالس بجانب زوجته ، والذي صارت عيناه سليمتين . . مخاطبا المصور) : صوّرني انا ومرتي يا شارل . .

المصور : هيدا اللي عم بعملو . . ليه ما جبتو الزغير معكن . . عالقليلي شكلو بينشاف .

الزوجة : الله يلعنك ! صوّر المخرج ، قليل ما بيصرلو يتصور . .

تتجه الكاميرا الى المخرج الذي يحمل كأسا ويسير نحو كرسي في الوسط ، مديرا ظهره . . يلتفت الى الكاميرا ويضحك . . ثم يجلس .

حيدر (الذي لم يعد يعرج) يحمل كأسا هو الآخر . . تتابعه الكاميرا الى ان يجلس على السجادة تجاه المخرج . . عندها نرى وجهه ونتعرف اليه ونلاحظ انه جالس الآن بجوار زينة التي تحييه بابتسامة ، فيرد التحية بوضع يده على صدره « احتراما » ولكن دون اكتراث كبير . . . ولا تلبث هي ، مع جلوسه ، ان تتثاءب من ضجر سابق . .

في القسم التالي من المشهد ، يظهر لنا حيدر بوجه لا نعرفه . . لهجته مختلفة (من حيث انتماؤها الاقليمي) عما كانت عليه . . وموقفه متشدد . . كاره للحرب والعنف ولكن بلا رقة . . شخص المخرج هو الذي يذكر بشخصية حيدر التي عرفناها في الفيلم .

المخرج : شو اخبارك حيدر ؟

حيدر : يطول عمرك . . كنا عم نحكي انا وبعض الاخوان قبل شوي . .

المخرج : عن شو ؟

حيدر : عم بنقول انو لو مولانا المخرج ـ دام ظله ! ـ يعني . . بيكون عندو النا شي بشاره بها الليلي الانيسي

المخرج : بشو مفروض بشركم انا ؟

حيدر : بدك تقلنا شو فينا نعمل بأعمارنا هلق ؟

المخرج : (مستغرباً هذه التورية) : كيف ؟ . .

حيدر : عملنا فيلم تنقول للناس ان الحرب دمرت الوقت اللي هوي اعمارهن . . انو ما عاد في ساعة بتعطي معنى للي بعدها . . ولا مشروع بيودي الايام اللي قبلو على مطرح . . على مطرح معروف او مقنع يعني . . والله انا غلطان ؟ . .

زمزم : هيدا كلام ! .

المخرج : بيجوز ما تكون غلطان . . بس بعدين شو ؟

حيدر : بعدين شو . . هيدا اللي عم نسأل عنو . . هلق الفيلم خلص . . اللي قبضناهن تنقول هالكلام الظريف صرفناهن وبلشنا نتدين . .

المخرج : انا شو خصني ؟

مصطفى : (عن المخرج) ما بدو يفهم !

حيدر : قصدي . . فيه عندو مولانا المخرج شي فيلم ثاني . . (بسخرية خطابية) يعطي معنى لأعمارنا . . عالأقل معنى ملموس (يفرك اصبعيه اشارة الى المال) للسنة الجايي من اعمارنا ؟

زمزم : لذيذ حيدر !

المخرج : طولو بالكن علينا . . بعدما خلص الفيلم !

حيدر : خلص تصويرو . . بالنسبة النا يعني خلص . .

المخرج : ما خلص تصويرو . . بعد فيه مشهد .

(اثناء الحوار بدا ان معظم الحضور - بقي سرحان وزوجته

وزوجات اخريات في حلقة منفصلة يحصيها المصور بلقطة سريعة ـ اخذوا يتجمعون في حلقة المخرج . . جلس بعضهم وبقي آخرون وقوفا ، وسينحصر المشهد ، من الآن فصاعدا داخل هذه الحلقة . ولكن الحلقة الاخرى تظهر احيانا في خلفية المشهد واحيانا وحدها ، وكأنها عالم آخر ، غارق في غفلة لا تتزعزع . .)

زينة : (التي نبهها جواب المخرج الاخير من تهامس جانبي مع مصطفى) مشهد شو هيدا ؟ ما في شي بدفتر السكريبت بقى . . بعدين على علمي عزمتونا نحتفل الليلي لأنو خلصنا .

المخرج : هيدا المشهد الاخير . . جد جديد . . بدنا نريح حيدر من السرسبي بمعاني عمرو الملموسة ! . راح ينتحر ! (يضحك) . . والمشهد الباقي هوي مشهد دفنو . .

زمزم : يعني الحفلة اللي هون الليلي بدها تطلع كلها جنازي . . والله انا ما بحب المقابر ، بس اكيد لازم كون . . مرت خيو ايه او لأ ؟ . . (للمخرج) : ما هيك برهان ؟

المخرج : طبعا ! . .

مصطفى : بس ليش بدو ينتحر حيدر؟ . . ما تقللي انو رح ينتحر منشان موعد فرط . .

زينة : ليش لأ؟ . . القعدي مع زينة بتحرز (يكشر لها حيدر تكشيرة سخرية) . .

المخرج : (يردعها بيده متحببا) : اي واحد بيفوت بفيلم . . بيمشي من اول الفيلم لآخرو . . بعدين بيطلع من آخر الفيلم . . بيلاقي حالو بره . . شو بدو يعمل بره . . هيدا سؤال حيدر . .

مصطفى : (يغمز متذاكيا) خليه حيدر يفتش عا زينة برات الفيلم . . يمكن يقدر يشوفها . . يمكن تكون بعدها هون . . اذا ما ظبط اول موعد ، بيظبط الثاني . .

المخرج : (متغاضيا عن التلميح) : ليش هيي المشكلي كانت انو حيدر يشوف زينة ؟ . . كان بدو يسمع صحيح . . بيجوز كان عندو امل انو اذا سمع بيشوف اللي صار احسن وبيكمل مشوارو . . كان عندو امل يعني يرجع يتعرف على مشوار ثاني . . (لحيدر) : بتعرف كيف يعني . . بتكون ماشي وعم تتطلع بشخص ثاني ماشي هونيك بعيد . . ما بتعود تحس بتعب الطريق . . هيدا كان املو لحيدر . . بس يمكن لو سمع شريط زينة كان بدو يندم اكثر على اللي قالوا . . وكمان كان بدو ينتحر ! . . زينة حكيت بالشرق وحيدر كان بالغرب . . (حيدر يستمع متفكرا) . .

زمزم : زينة بالشرقية وحيدر بالغربية ! . .

جورج : برافو يا شاطره ! (للمخرج) ما عرفنا كيف رح ينتحر حيدر . .

المخرج : مش رح نعرف . . بس بعيد عنك اخذنا موعد من المقبرة . . الدفن بعد بكره الصبح . . قالوا انو دايما فيه قبور فاضيي الصبح . . صحابها ما بيوصلوا الا من الضهر وطالع ! . . .

زينة : بيحتج عالحرب حيدر اذا انتحر ؟ يعني . . راهب بوذي عم يحرق حالو . . هيك شي ؟

المخرج : لأ هيك لأ . . بتصير الشغلة بلا طعمي خالص . . مين مع الحرب حتى حيدر يحتج عليه ، مين ضد الحرب حتى حيدر

يحتج معو ؟ ! . .

زينة : مش واضح . .

المخرج : هون بالبلد ما في حدا ضد الحرب الا كل الناس ! كل الناس يعني ما حدا . . اللي عم بيحاربوا كلن ضد الحرب . . عن جد ! وانا كمان ضد الحرب . . لما كانت بعزها اضطريت علم فترة . . كنت ضد الحرب للموت . . ابقى افطس من القذائف والاخبار والزربي . . بس انبسط كمان لما تعلق . . لانو كنا نعطل . . مثل الطفل الزغير يعني . . بيتعب الواحد من الحرب يا جماعة ! بيتعب كثير ! بيصير اذا اعطوه قمع بوظة حتى يبورد بينسى انو كل شي عم يخسع ويموت . . وهوي كمان . . منشان هيك يمكن بتكثر الفلوس بالحرب . . البوظة يعني . . حتى تعطي معنى ملموس ، مثل ما بيقول حيدر ، لعيشة الناس . .

حيدر : (بشيء من الغضب) : مشكور يا معلمي . . صار عيب الحكي عن الفلوس يعني . . (بسخرية مسرحية) خلينا نحكي عن فن السينما ! . .

المخرج : مين جاب سيرة العيب ؟ عم قول انو الفلوس بتساعد الناس بالحرب حتى يقبلوا عيشتهن يوم بيوم وساعة بساعة . . بيصير اللي معو يصرف ويتدين . . مش قصة شعور بالامان يعني . . الفلوس بالحرب مش بس امان من الطواريء . . الواحد بيعطي معنى بالفلوس لبطالة الحرب . . للوقت اللي بيصير بلا اهداف . . للوقت اللي بيصير موت . . الفلوس بالحرب هيي سلاح ضد الموت . . مش بس ضد الخطر ! . .

حيدر : (بالسخرية نفسها) : يعني بلاه فن السينما ! . . فلوس ! . . مين اللي قال : « فلوس ! فلوس ! فلوس ! » ايا هاملت ؟ . .

زينة : ديغول ! . .

المخرج : المهم . . شو كان بدي قول ؟ اي . . حيدر ما بدو يحتج عالحرب . . حاولوا يبيعوه مجلي عالاشارة . . واخروه . . رح ينتحر حتى يفهم المسلحين انو لازم يحملو فراطة . . (يضحك الجميع ما عدا حيدر)

حيدر : بلا مزح هلق . . مقتنع انت بهالحكي ؟ . .

زينة : انت شايف اسباب الموت بهالبلد مقنعة كثير يعني . . عال هيك . . خليه يموت مثل غيرو . .

المخرج : الحقيقة ما بعرف . . ما بعرف عالتمام . .

حيدر : انا صرت اعرفو منيح لحيدر . . بقدر احكيك باسمو . . ما بدو يموت حيدر . . فيي قول انو اذا دفنتوه بعد بكره بتكونوا عم تدفنوه طيب . .

جورج : (للمخرج) : طيب انت الك عندو شي لحيدر ؟ شو فيه بينك وبينو ؟

المخرج : بيني وبينو ؟ فيه شي طبعا . . (بعد لحظة صمت) فيه خياني ! . .

جورج : مين خان الثاني ؟

المخرج : هوي !

حيدر : رح تدفنوه طيب !

زينة : كمان هيدي صارت . . ليش ما بتصير بالفيلم ؟

المخرج : لأ ما هيك . . مش هامنا بالفيلم نحط لأشيا اللي صارت . . بس هوي حيدر نحنا حشرناه . . حبس حالو بالأشيا اللي حكيها . . ما عاد عندو مخرج .

مصطفى : حكي . . بس ما حدن سمعو . . ما اعطى سرو لحدن . . بعدين مين بينتحر بالحرب ؟ (تبدر من المخرج حركة عجز وحرج ويتفادى الاجابة) .

زمزم : شو قصتك انت ؟ وين فيه سر ؟ بكره الناس رح يشوفوا الفيلم ويسمعوا . .

المخرج : لا . . ما هيك . . زدتيها انت . . بيكفي يكون حكي لوحدو . .

حيدر : انا ما بيكفيني . . مش راكبة براسي هالموتي . (للمخرج مباشرة) مين راح ينزل بالقبر ؟

المخرج : (بحزم ممزوج بالقلق) : انت ! . .

حيدر : يعني يا معلمي بدك تخيّط بغير هالمسلة . . اذا خيطت كفن خلي حدن غيري يقيسوا ! . .

(يتوقف لغط الحاضرين وتتركز انظارهم على الرجلين . . وتبدر من سرحان نفسه اشارة تساؤل عن طبيعة ما يجري . .)

المخرج : (جادا) : مين بدنا نلاقي غيرك . . ما عندنا غير يوم واحد . .

حيدر : خللي السيد المنتج يحل كيسو . . بيلاقي الف واحد بالبلد يفوتو بالكفن نص ساعة بميتين ليرة .

زينة : ليش السيد المنتج ما بينزل هوي بالكفن؟ . . هيك بيوفر فلوسو . . وهيدي شغلة ما بدهاش براعة . .

حيدر : بدو قماش قد ثلاثي . . ما بيوفر شي . . (للمخرج) والله انا فهمتك من الاول اني ما بشارك بمشاهد فيها موت ودم . . بتذكر مشهد المسلح وفنجان الشاي . . كان مفروض يصير قواص بدل الشاي ويوقع قدامي قتيل وجريحين او ثلاثي . . مظبوط ؟ انا فرضت تغيير المشهد واقترحت فنجان الشاي . . هلق بعد اربعة اشهر جايي بدك تدندلني بالقبر . . ولو يا معلم كان مفروض تقدر اني ما بقبلش .

المخرج : وهالمرة عندك شي اقتراح ؟

حيدر : لا والله . . انا عم قول مش لازم يموت . . انت قلت انو عندك سبب سري حتى تقتلوا . . ث ''' انا عندي سبب علني حتى ما انزل بالقبر . .

المخرج : فيه كمان مشكلة الشيخ . . هيدي مشكلة ثانية . .

مصطفى : بدك شيخ يصلي عليه ؟ !

المخرج : ايوه . . يصلي عليه ويلقنوا الشهادي بالقبر . .

مصطفى : اهون شي تطلب من شيخ حقيقي ييجي معنا . .

المخرج : فكرت باللي بعرفن . . فيه واحد بيناسب ، بس اكيد ما بيقبل . . اذا فيه شخص مناسب انا بعلمو الصلا والشهادي . .

ما فيه وقت نفتش كثير . .

زينة : بتعرف انت تصلي عالميتين ؟

المخرج (متفاخرا) : معلوم ! . .

زمزم : يا ماما !

المخرج (لحيدر) : اذا ما عندك شي بعد بكره ، طل مع الشباب . . بنروح سوا عالمقبره . . عالقليلي بتشوف . . بتتفرج . .

حيدر : بشوف .

المخرج : الكفن . . والقبر . . هيدي بنلاقيلها حل . . ما بدنا ياك تزعل . . كل شي إلو حل . .

حيدر : من عدا النزلي بالقبر عن جد . . ما إلها حل هيدي .

مصطفى : فرحة كثير هالسهرة الليلي . . يكثر خيركن على المنامات الحلوي . . شيل هالكاميرا يا شارل خلينا نشربلنا كاس مثل البشر .

المخرج : بصحتكن ! (يرفع كأسه) . .

المقطع السادس

دفن حيدر

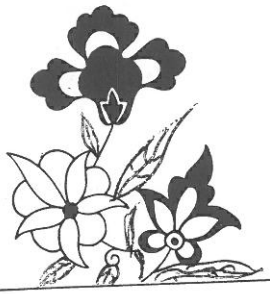

مشهد وحيد

نهاري خارجي

مقبرة صغيرة ولكنها مكتظة من مقابر بيروت الجنوبية . نحو عشرين رجلا يصلون وراء شيخ بعمامة بيضاء صغيرة ونظارتين قاتمتين ، وامامهم التابوت ، في ظل سقيفة تمتد على حافة الجبانة التي يحيط بها سور . نساء قلائل بينهن زمزم - ومعها ابنها - يقفن قريبا من القبر . مصطفى يقف جانبا ، غير بعيد عن المصلين ومعه بواب البناية ، مهنا ، وشخص آخر لم نره سابقا يتأبط ذراعه . . مصطفى وزمزم ينتحبان بهدوء . . ولكن اكثر المشيعين تأثرا هي ام قاسم التي تحاول اثنتان من النساء اجلاسها على حافة احد القبور ثم تدعوان زمزما للجلوس معها . في القبر رجلان يرفعان بالرفش آخر دفعات من التراب . يظهر جليا ان القبر واقع في ممر خلف بوابة السور ، وانه يسد مدخل الجبانة المزدحمة بالاضرحة . .

الرجال يلغطون بكلام غامض هو الصلاة على الميت . . بينما يرتفع صوت الشيخ :

الشيخ : الله اكبر !

فيردون :

المصلون : الله اكبر !

تتوجه زمزم الآن ، بصوتها الباكي الى ام قاسم التي هدأت قليلا :

زمزم : يلعن ابوها الغربي ! . . يا حْياني عليك يا حيدر . . مش ضيعانو حيدر يقبروه بالطريق للي بدو يدعس . . ولا غسل ولا تعتير .

ام قاسم : يا شحاري يا اني . . ما غسلهش ؟ . .

زمزم : منين غسلوه ؟ لليوم تسلّمونا ياه بالمستشفى صرلو ثلاث ايام ! قال كانوا عم يعملوا تحقيق . . وبعدين قالوا هلق بدكن تاخدوه ما عدش فينا نخليه . . قبل ما نطلعوا من المستشفى رحنا عمقبرة غير هيدي . . ما احلاها تحت هالسجر . . اني نقيتلو مطرحة . . قلت بندفنو هون . . (تغص بدمعها) مش حْياني تسخى بشبابك يا حيدر ؟

ام قاسم : ريتو يقبرني كان ولا شوفوا هالشوفي للاستاذ . . ليش ما اخذهش لهونيك ؟

زمزم : راح مصطفى شافن ، قالوا له خيك زلمي غريب والشغلي بدها اذن من واحد مدري مين هوي . . ما كنش موجود . . بعدين جينا لهون . . واحد من المستشفى دلنا عهالجماعة . . تشوفي ما احلاهن . . قالوالو لمصطفى الجباني سكرناها من شهرين . . ما فيهاش مطرحه . . بتحطوه بالطريق . . شي راجع لخاطركم . . قبلنا نحنا وين بدنا نروح ؟ طلع ما فيهش حدا يغسّل . . قالولنا اللي بينحر حالو مش ضروري يغسلوه . .

ام قاسم : يلعن ابوها الغربة . . يا شحاري . . ما عدناش نعرف لا كيف بدنا نعيش ولا كيف بدنا نموت . . لو تطلعوه عالضيعة يا بنيي .

زمزم : يعني هوي بايدنا يا ام قاسم . . بتعرفي هوي مغضوب وخيو مغضوب . لاننا طلعنا . . بيعملولهن فيه شي دبره لمصطفى . . بنكون بمصيبي بنصير بتنتين . .

الشيخ والرجال : الله اكبر ! الله اكبر !

اتجه مصطفى الآن نحو زوجته . بينما تمشى مهنا والرجل الآخر الى الجهة المقابلة . .

الرجل : شايف . . بنص الطريق حفرولو . . بعد شوي الميت مش رح يعودوا يلاقولو تراب يدملوه . . تشوف المقابر بأميركا . . الواحد بيستحلي يموت . .

مهنا : هوي الحق عليه . . مين جبروا . . اليوم بهالبلد اذا بدك تموت بتلاقي الف واحد يقتلوك . المرجلي انك تبقى طيب . . بيقوم هوي بيقتل حالو ؟ (يضحك ضحكة مكتومة) .

الرجل : وقتك هلق ؟ جاي تفضحنا ! قاموا الجنازي

حمل الرجال التابوت الى مقربة من القبر ، مكبرين . . واعولت النساء وقد مشت امامهم زمزم والى جانبها مصطفى الذي حمل عنها الطفل . يقف مصطفى وزمزم ناحية بحيث يريان التابوت ولا يريان القبر . . وتقف معهما ام قاسم ، ويتحلق الباقون حول القبر رجالا ونساء ، ولكن دون اختلاط . غير بعيد عن الحفرة ، مسجلة حيدر نفسها موضوعة على قبر آخر. يدير مصطفى زرها فيعلو صوتها على

سائر الاصوات بآيات مرتلة من سورة الحاقة : « فيومئذ وقعت الواقعة . . وانشقت السماء فهي يومئذ واهية . . والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك يومئذ ثمانية . . يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية . . »

الشابان اللذان كانا في القبر قبل لحظات ، بدءا الان نزع غطاء التابوت . . مع كل منهما قدوم يضرب به من جهة الغطاء بدراية ، ولكن بسرعة مقلقة تدل على الرغبة في الانتهاء . . يتصبب العرق من وجهي الشابين اللذين تبدو عليهما سيماء البلادة ويبدوان منهكين من الحفر . . لا يلبث احد المشيّعين ان يسكت المسجلة فلا يبقى سوى وقع القدومين المقلق . . يسمّر انتباه الجميع بحيث يفتحون عيونهم واسعة ويتوقفون عن البكاء . . ينزع الشابان الغطاء ، فيظهر تحته غلاف رصاص مسطح ممدود فوق الجثة مباشرة . يبدآن بضرب حافة الغلاف على نحو يرفع درجة التوتر العام . . تستدير ام قاسم التي لم تعد تطيق النظر . . وتدفن زمزم رأسها في كتف زوجها . البعض رجالا ونساء يحملقون في الغطاء الرصاصي . . وآخرون يستديرون . ولكن ضرب القدومين على المعدن والخشب يظل ينعكس في عيونهم ووجوههم . . مصطفى يحملق مأخوذا ، ما زال على خديه دموع ولكنه لم يعد يبكي . .

ام قاسم : (كأنما لنفسها) : يا شحاري ليش سرصرصينه ؟

مصطفى : فكّروه راجع عالضيعة (صارخا بصوت ضعيف) : يا خيّي ! (يضرب احد الشابين ضربة يظهر انها وصلت الى الجثة ، ويتوقف لحظة مترددا وقد بدا عليه الحرج) .

مصطفى : (مبهوتا وخائرا) : عامهلك . . (يدير وجهه ، تحت

وطأة الاضطراب ولكن عينيه تتسمّران من جديد على التابوت) .

ينهي الشابان نزع الرصاص بضربتين اخيرتين ويقترب رجلان من الحضور ليساعدا في رفع الجثة . . لا نرى لهذه الاخيرة وجها حتى الآن ، بل نرى الكفن المربوط من جهة الرجلين . في القبر يقف الشيخ الذي كان يؤم الصلاة . وينزل الى القبر الآن احد الشابين ليعاون الشيخ في تناول الجثة . . حالما يتم تمديد الجثة في الوضع المناسب يغادر الشاب القبر ، بينما يبقى فيه الشيخ . . هذا الاخير يجلس القرفصاء ويضع يده على رأس الميت ليباشر تلقينه الشهادة . . وللمرة الأولى نرى الآن وجه حيدر « الميت » . . تمر لحظات وهذا الوجه جامد جمود الموت ، والشيخ يتلو الشهادة . . بعد ذلك تأخذ شفتا حيدر ووجهه في التقلص والانفراج شأن من يغالب ضحكا قاهرا عنيفا . . يبدو الشيخ مبهوتا اول الأمر ويتابع مخاطبته للميت . . ولا يلبث حيدر ان ينفجر ضاحكا فعلا . . عند ذاك يرمي الشيخ عمامته في القبر ويخلع نظارتيه ويتنهد متأففا . . نرى الآن ان الشيخ هو المخرج نفسه . حيدر جلس الآن في القبر وتوقف عن الضحك ووضع يديه على ساقه مشيرا الى انها تؤلمه . يقف المخرج ساهما . . ويقف حيدر بدوره بصعوبة منزلا الكفن الى اسفل ليصير وكأنه وزرة . يجس ساقه التي تؤلمه وينفضها لعل الالم (او التنميل) يزول . ولا يلبث ان يتكيء بيديه على حافة القبر ويرفع جسمه ليجلس عليها . .

في مكان بعيد بعض الشيء عن الحضور المجتمعين حول القبر ما زال مصطفى وزمزم وام قاسم الذين لم يشاهدوا بعد ما جرى ولم يدركوه يبكون بلوعة هائلة . . خرج المخرج من القبر الآن واخذ يوجه الى

حيدر عتابا مريرا . . اما حيدر فما زال جالسا على حافة القبر يهز فخذه ويدلكه ولا يرد . . غير انه مقطب . . شق المخرج طريقه بين الجمهور الصغير المحتشد ، واشار الى الباكين الثلاثة بالتوقف عن التمثيل . . ثم اشار الى الكاميرا بيديه الاثنتين ان تتوقف عن التصوير . .

نرى الآن مشاهد من جبانات عديدة متنوعة ، منها المدينية ومنها القروية ومنها المسلمة ومنها المسيحية . . تقطع المشاهد مرة اولى لنرى قبر حيدر وهو ما يزال محاطا بالتراب وقد انفضّ من حوله الجميع الا الشابان اللذان توليا كسر التابوت ، يجلسان ناحية ، يتحدثان واحدهما يدخن بهدوء ، كأنهما ينتظران صاحب القبر الحقيقي . . وبعد سلسلة جديدة من مشاهد الجبانات ، نبتعد الى قبر وحيد في الخلاء كتبت على شاهده العمودي كلمة واحدة : « النهاية » .

طوال المشهد لا يبدر من اي من الشخصيات ما يميل بالمشهد ناحية الهزل . فباستثناء ضحكة حيدر العصبية ـ وهي ، بمعنى ما، ضحكة مرة ـ يبدو الاسف والخيبة على الجميع نتيجة لفشل الدفن . ويظهر المخرج بصورة خاصة واجما تارة وعصبيا تارة اخرى .

ومع الضربات الاخيرة من قدومي الشابين وهما ينزعان رصاص التابوت ، تخرج نغمات تنافس صرير المعدن على المعدن . . ومذ ذاك يصير المشهد صامتا تواكبه رندحة الابيات التالية :

يا بلد !

بعدر

قاعد السيدَ عْلي

عهالكرسي

بلحيتو الونسي

اللي بكّر يضوّي العمر فيها

قاعد السيد علي

عينين مضويين

ما تقول الا دمعتين كبار

محبوسين

من عمر

نسيت تحسبوا الاعمار

قاعد السيد علي

هالصوت طالع من رحم

من نشوة العتمي

اللي معتمي تمضويي حالا

قاعد السيد علي

قاعد مضوّي هالحسينيي

يقلّلي : ما تبكي عالحسين

هاجر على دربو

هاجر على قلبو

وقلّلو : يا سيّد

مين عم يبكي ؟

ما تتعبش حالك

لما الشمر قرّب على جدك

عمّصت عيني شوي

بس كرمالك

قل لي يا سيد علي

بمكتبة بيّك هالكبيري

باللي سمعتو عالورق

من جدّك الصادق

واللي مجوّد عن حفص

واللي معنعن

عن ابن عباس

بألف ألف سراج

مضويين

عافزع هالناس

ما في ولا سطرين ؟

يفهموني ليش ما بيبقى

من عمر اسمو عمر

الا فخذ مكسور

ومظاهرة تانسرق من الموت

اربع خمس ضحكات

واصوات

من سربة زغار

بالعيد

فلتانين عابرّ النهار

وغبرة بلد

وخيال هالشعر الطويل

اللي فرّق لوجه القمر

عالرايح الجايي

عا ألف تمشايي !

* * *

وقّف وقول : خْطَيّ !

يا بن الثلاث سنين

طلّوا عليك الاربعين

وشو صرت باخخ مي

بها البيارة العايبي

وراكض على عشرين فخد مكسّرين !

شو عَرَّفك ؟

مش كل ما تركض شوي

بيموت كمشي من الاهل

وبيضيع بيت من البلد

وقف وقول خْطَيّ ! .

لين عم بتقول : عيّد يا ولد ؟ !

الاشخاص والمجموعات

(نذكر اولا الذين يظهرون في المقطع الاول . . ثم نضيف لكل من المقاطع الخمسة التالية الذين يستجدون خلاله . .

المقطع الاول

- **حيدر** : مهجّر من عديسه ـ قضاء مرجعيون ، مدرس وطالب متلكيء يعد ماجستير التاريخ في معهد الاداب الشرقية (الجامعة اليسوعية) . . في اواسط ثلاثيناته ، صديق لزينة .

- **مصطفى** : شقيق حيدر . . كاتب قلم النفوس في مرجعيون . . على عتبة الثلاثين . .

- **زمزم** : زوجة مصطفى . . عشرينية .

- **الطفل** : ابن مصطفى وزمزم . . في اواخر عامه الاول .

- **عمال التنظيفات** . .

- **زينة** : مدرسة من الاشرفية ، زميلة لحيدر في الدراسة . . ثلاثينية . . والدها ميت منذ سنوات كثيرة . .

- **جورج** : شقيق زينة . . مقاتل في ميليشيا مسيحية . . نحو عشرين سنة .

- **والدة زينة وجورج** : ارملة مقيمة مع ولديها . . ابنها البكر في الولايات المتحدة . . في اواخر خمسيناتها . .

- **مهنا** : حارس الورشة التي يقيم فيها حيدر وعائلة اخيه . .

- **زائرة صباحية** : في منزل زينة .

- **جدة زينة** (لوالدها) : مسنة جدا ، تقيم وحدها . .

- **نساء واولاد** : امام بيت حيدر . .

- **هيئة توزيع الاعاشة** : اربعة اشخاص بينهم فتاة . .

- **مسلحون ومساعدون** : في مركز توزيع الاعاشة : عديدون

- **جمهور الاعاشة** : عشرات الاشخاص ، رجال ونساء

- **بائع ومحاسب** : في محمصة

- **بائع خضار** : (عربة)

المقطع الثاني

- **سائق تاكسي** : (يوصل حيدر الى اليسوعية) . . خمسيني

- **الراكب** : مع حيدر يوصله التاكسي الى راس النبع . .

- **بائع سمك** : (بسطة)

- **امرأة** تساوم لشراء سمك . .

- **محاسب المقهى** : رجل خمسيني

خادم المقهى

- مسلح اول بائع مجلات

شرطيان من كتيبة السير . .

- اديب: مسلح في المقهى

جوزف : مسلح ثان في المقهى

مسلح ثالث في المقهى

- المسلح حارس البوابة . . يحرس مدخل منزل لاحدى الشخصيات في الاشرفية

العجوز المار .

المقطع الثالث

- بائع مشروبات (بسطة) .

- ام قاسم : امرأة مسنة من عديسة ، مهجرة . . ولدها حزبي نافذ . .

- استاذ زينة

- رفاق زينة في الصف

المقطع الرابع

امرأة مسافرة واولادها

- خليل مراد : شرطي في المطار على مدخل المسافرين : ٢١ - ٢٢ سنة .

- مسافر عجوز

- مرافق المسافر العجوز

- سرحان : رجل فاقد الاتزان - يرابط في المطار

- حمالون ، مسافرون ، مودعون في المطار

المقطع الخامس

- المخرج : رجل أربعيني

- المصور (صوته)

- تقنيون وزوجات واصدقاء في الحفلة : ٧ الى عشر اشخاص . .

المقطع السادس

- حفارا القبور

- المشيعون : نحو عشرين شخصا

في مشاهد مختلفة :

مارة ، شرطة ، سائقون ، وركاب في السيارات ، جنود على الحواجز ، الخ . .

تذييل

يستبعد تصورنا لهذا الفيلم عن الحرب اللبنانية ، عدة اختيارات تطرح نفسها بداهة . يستبعد مثلا اعادة صوغ العنف الذي تشكلت منه الحرب ، في وجهها العسكري : بمتاريسها وقذائفها ، الخ . . ففي هذا الفيلم لا يسمع المشاهد طلقة واحدة . ويستبعد ايضا استعادة الحبكة السياسية التي تنامت على امتداد الحرب ، او استعادة اجزاء منها : لا قادة هنا يلتقون ولا اتفاقات تخرق ولا مبعوثين ، الخ . . ويستبعد ايضا الحرب التي سجلتها الوثائق : لا اشرطة تستعاد للاحياء المدمرة ولا لقوافل المهجرين ولا للجثث ، الخ . . هذا من حيث محور الفيلم . اما من حيث دائرته ، فاستبعدنا « تمثيل » « اطراف » مختلفة ، سواء أكانت طوائف ام مناطق و« بيئات » ام تنظيمات متناحرة . . هذا الفيلم لا يطمح الى « تغطية » لما طالته الحرب . . فالشخصان اللذان يعيشان يوما وبعض يوم من حياتهما في هذا الشريط (يموت احدهما ، في نهايته ، وتهاجر الاخرى) ليسا شخصين نموذجيين. اي انهما لا يقدمان ، من حيث الموقف ، صورة هي الاكثر شيوعا لما كانت عليه المواقف في بيئتيهما المتقابلتين اثناء الحرب . فلا ينبغي النظر اليهما على انهما

« ممثلان » لهاتين البيئتين . بل ينبغي حملهما ، بصفتهما الشخصية ، على محمل الجد. ولا ريب في ان الفيلم نفسه هو الذي ينبغي عليه ان يفرض هذه الصفة لا سواها . والعلاقة بين الشخصيتين هي الاخرى ، ليست نموذجية . فلا هي علاقة « غرام » تحيل الفيلم الى فيلم « عاطفي » ، ولا هي علاقة صحبة عادية تلزم الحوار في امور ذات مدى عام ان يكون ذهنيا . وانما تتدخل فيها الرغبة ـ مكبوحة ـ الى الحد الذي يتيح لها ان ترفع حرارة التأمل وتغوص به الى ابعد مدى متاح .

استبعدنا هذه الاختيارات كلها اذن . واخترنا ان نبرز وقع الحرب على هذه العلاقة . بعد ان انقطع هذان الشخصان الواحد عن الآخر ، طيلة الحرب ، يستأنفان ليوم واحد حوارا غير مباشر من الموقعين اللذين وصلا اليهما . وهما موقعان مختلفان . وصلت الفتاة الناضجة ، التي امكن لها ان تجمع بين القرب من مجريات الحرب وانعدام المشاركة فيها ، الى حالة من « الطيبة » الوهمية مفضية الى اليأس . . لذا تغادر البلد ، غاضبة عليه ، راضية عن نفسها . ولكن هذا الرضا يحتاج الى شهادة من الآخر ، لن تنالها . فتتحول لحظة المغادرة الى لحظة انهيار . اما الرجل الذي يغادر شبابه فقد التبس عليه ، في نهاية هذه الحرب ، امر نفسه . . اختلطت عليه ملامح شخصه . تورط دون « افراط » ، وكان تورطه « مفروضا » عليه . ولكن اين هو حد الافراط وما هو معيار التمييز بين المفروض وغير المفروض ؟ هذا الاختلاط ، الذي يلوي خطط المستقبل ويبعثرها ، بعد ان ضرب وضوح الماضي القريب ، هو الذي يجعل كل الحلول (ومنها الانتحار) محتملة في حالة حيدر .

ذاك هو السياق « الداخلي » أما «الخارجي»، فيلفت فيه ان ثمة لقاءين لا يتمان . ولا يحتاج عزوف حيدر عن اللقاء الثاني (في المطار) الى تفسير اضافي ، فهو جزء من السياق الداخلي ، يبرز التفاوت بين موقفه وموقف زينة . اما اللقاء الاول ، فجعلته محالا عوامل تبدو « عرضية » (زحمة السير ، سلوك رواد المقهى ، الخ . .) ولكن حياة المدينة ، بنتيجة الحرب ، هي منسوجة من هذه « الاعراض » (بالمعنى الطبي ، هذه المرة) . وهي اعراض لامراض تأكل المدينة وترادف ، في « براءتها » الظاهرة (اذ تبدو وكأنها مظاهر خلل فني) تلك الامراض شبه المستورة (التي تظهر على السطح في انفجارات موضعية عنيفة او خفيفة) ، وهي تأكل سكان المدينة من الداخل . فثمة تسمم في العيش اليومي ، في العلاقة بين غاياته وطرقه او وسائله ، يظهر مكبرا في تسمم فضاء المدينة : في اضطراب علاقاته ، في الخلل الطاريء على وظائف امكنته . هذا الاختلال العام ، في صورتيه الشخصية والمكانية ، هو اثر الحرب المستمر المباشر على عيشة الاحياء ، في ما يتعدى دمار المباني والثروات ، الخ . . وهو ـ اي هذا الاختلال العام ـ الزاوية التي اخترنا ان يواجه منها هذا الفيلم حرب لبنان الاهلية . لذا لا فعالية في الفيلم لخط الانقسام الذي قامت عليه الحرب (خط الانقسام الطائفي او ما شئنا) . فالاختلال (او التسمم) الذي يصور الفيلم فعله في العلاقة بين شخصين ، بالذات ، يتعدى ، في الواقع ، خط الانقسام هذا ، ويفعل ، بصور كثيرة ، على جانبيه . من هذه العمومية ، تتأتى للفيلم المقترح امكانية الافضاء ، في ما وراء جزئية حقله ولا نموذجية الحالة التي يعرضها ، الى نوع من الشمول . . فيوقع المشاهدين في شركه لوقوعهم اصلا في شرك هذا

الاختلال . . الاختلال الذي تحدثه الحرب في علاقات الشبكة المتكونة من طرق الحياة العادية وغاياتها . قبل ان نعلم ان استعادة الوطن الواحد او المجتمع « السوي » تفترض انتهاء الحرب الاهلية (هذا ما لا يطرقه الفيلم مباشرة) نعلم هنا ان الحرب الاهلية تتجه الى لفظ كل مشروع لحياة شخصية لا تجعل الحرب محتوى لها ، وتلفظ ايضا كل مشروع للمصالحة ما بين المدينة وسكانها . الحرب هي حرب على كل حياة غير مؤتلفة مع اهداف الحرب واستمرارها ، وهي حرب يتبادل فيها التدمير البطيء والسريع بين الفضاء المديني والمقيمين فيه .

على صعيد آخر ، مضموني وشكلي معا ، اتاح فشل زينة وحيدر في الالتقاء ، اول مرة ، ان يتم اللجوء الى آلة التسجيل ، بديلا من الحوار المباشر . وفائدة هذا انه يطلق ، الى حد ، كلا « المتحاورين » من رقابة الآخر ، او بالاحرى ، يغير من شكل هذه الرقابة . لا يعود حضور الآخر ، وردود فعله ، سببا في تقويم الشهادة او فرض مدارات من الخارج على الروايات . ويصير الآخر ، اقرب الى ان يكون ، لا ما هو فعلا ، بل ما يراد له ان يكون . والشعور بهذا الانزلاق بالآخر وبهذا التحوير لرقابته هو ما دفع حيدرا مثلا للانصراف قبل قدوم زينة الى المطار . . كان حيدر قد صرح ، ليلا ، لصورة زينة ، بما لم يستطع تسليمه نهارا لزينة الحقيقية .

الى هذا تتولى « الرندحة » فتح الفيلم على بعد آخر هو بعد ما قبل الحرب ، بقيمه وهمومه . فالنص الشعري ليس « تعليقا » مطابقا على المشاهد الصامتة . وانما هو يمر خلفها او بمحاذاتها احيانا ويصادمها احيانا . هذه العلاقة ، بما تنطوي عليه من مسافة ، هي

ايضا من الكوابح الفعالة لاي سقوط في العرض العاطفي . ويسعفها في اداء هذه الوظيفة ، ان « الرندحة » كثيرا ما تبدأ عند لحظة التوتر ، وكأنها ، بما فيها من مرح ، تسخر من درامية اللحظة . . مع الرندحة ، ثمة عنصران آخران ، يؤديان ، عدا الوظيفة الخاصة بكل منهما ، وظيفة مشتركة هي هذا الكبح للمباشر في الانفعال . العنصر الاول مقطع السهرة في منزل المخرج وهو يجعل اقسى ما ينتهي اليه الفيلم ، اي موت حيدر ودفنه ، « مؤامرة » من صانعي الفيلم ، مكشوفة امام المشاهدين . . فلن يحملها هؤلاء على محمل الجد اكثر مما تستحق . والعنصر الثاني هو هذا الميت الحي الذي لا يتمالك نفسه ، وهو في القبر ، من ضحكة تبدو سخرية من السينما نفسها ومن قرارات صانعيها . وهو نوع من « الرقيّة » توفر مرة اخيرة على مشاهدي هذا الفيلم « النظيف » من الدم والجثث ، مشهد جثة ختامية كنا هددناهم ، طيلة لحظات ، بأنهم قد يرونها ، مشوهة . يكشف هذا الميت ان الدفن وما سبقه سينما بسينما . . واننا لا ندعي ـ شأن ما تدعي افلام وثائقية وغير وثائقية ـ ان في الامكان « عرض » بشاعة الحرب الحقيقية على شاشة ما ، او الاحاطة بها . رغم هذا الاعتراف ، تستمر ، لحظات ، حول الميت المستقيل جنازة جادة . . ولا نعود نعرف ـ اذا كنا بين المشاهدين ـ ان كان علينا ان نضحك من السينما او ان نبكي من الحرب والموت .

ثم ان مؤامرة المخرج هذه على حيدر والجنازة التي تليها تتلقيان بالقبول ـ في ما نحسب ـ اضاءة اخرى مختلفة . فهما تدخلان التسمم بالحرب الى علائق المهنة السينمائية نفسها . . الى صناعة هذا الفيلم نفسه . . الى العلاقة بين المخرج وفيلمه وممثله (« ممثله » بالمعنى

الحرفي ، ربما) والى العلاقة ما بين « الادوار » الزميلة وما بين اصحابها ايضا . . حتى ليبدو المخرج وكأنه يبحث في الفيلم عن جريمته الوهمية ، وفي الممثل (الرافض) عن قتيله الذي هو اناه الآخر . . اي ان المخرج لا يتجاوز ـ بمعنى ما ـ ان يحقق في السينما نهاية شعرية لنفسه : ان يقول كل ما في صدره . . وان يواجه ما قاله ـ وان لم يسمعه احد بالحل الوحيد المتبقى : الموت . . واذا كان الانتحار هنا بديلا من قتل حيدر بيد الآخرين ـ لو انهم « سمعوه » ـ فهو من زاوية المخرج انتحاره الشخصي ومحاولته ابادة الآخرين (الذين صنعت ايديهم كل هذا . . الذين يكمّون فمه) في آن معا . . أو ان موت حيدر بيد ـ المخرج ـ منتحرا هو المماثلة ما بين قتل الآخر والانتحار . .

ليس ثمة ابرياء في الحرب عند هذا المخرج . . ولكن الممثل ، من جهته ، مصر على مواصلة جهده للبقاء بمنجاة من الذنب الكامل او من التساوي في الذنب . . فهو يريد اجتناب العنف ولو كان وهما . . ويريد مالا لأنه ما يزال يجد لنفسه حقا في المتع او التلبيات التي يتيحها المال . . في ما يسميه معنى الحياة « الملموس » . . كذلك ترى زينة من جهتها ان البلد نفسه لا يحمل ـ لا تاريخا ولا حاضرا ـ وزر ما اصابه ، اذا قصدنا بالوزر المسؤولية التي تنتج الذنب فامكان المحاسبة . .

وما يستمر بعد نهاية الفيلم هو هذا الالتباس المتصل بمصير المسؤولية ـ التي هي ، من ناحية اخرى ، موئل الكرامة ـ في بيئة تفرض كل شيء فرضا . . هل ثمة حرية في الحرب يسعها الخروج من دائرة الذنب ؟ وهل يسع هذه الحرية ان تتحقق في وجهة غير

وجهة الاستقالة الاخيرة اي القتل ـ الانتحار ؟ . . لم ننس (ولن ينسى القاريء ـ المشاهد) ان جريمة المخرج ليست الا جريمة وهمية . . اي انه لم يزل يريد تفاديها ، ما دام قد ارتكبها في الفيلم تفاديا لارتكابها فعلا . . هل كان ثمة اذن افق آخر يسع الفيلم ان يبسطه امام حيدر الهارب من المطار؟ . . بدا لنا ان الاجابة القاطعة عن تساؤلات هذا مدارها ، يكون من شأنها التقليل من بشاعة الحرب بتهوين الخروج من تحت ربقتها . . لذا سألنا : أ « يحق » لحيدر ان ينتحر ام لا ؟ اهو مذنب ام بريء ؟ ايجد اي منا ما يكفي من الكرم والشجاعة ليتقبل رفض حيدر الموت بابتسامة هي ابتسامة من قبل ، هو نفسه ، الاستمرار ؟ ام نشترك في « مؤامرة » دفنه لان الحرب استطاعت ان تبغض الينا وجوهنا ؟ طرحنا على انفسنا هذه الاسئلة ـ بشخص حيدر ـ وقدرنا هول الحرب وحرية القراء (المشاهدين لاحقا) فتركنا الاجوبة معلقة . .

أمل هذا النص اذن (امله من الفيلم المبني عليه) هو ان يحدث بعض الأضطراب المثير للتأمل ، وهو ـ شأنه شأن كل عمل من صنفه ـ اقدر على ذلك من الحرب نفسها . فالحرب صارمة لا مكان فيها للتأمل ، الا في ساعات « الخروج » منها . والفيلم يشاهد ، في وقت الفراغ ، اي خارج الحرب . اي انه لا يقع في الحرب نفسها ، بل الى جانبها ان شئنا . ان الحرب ممارسة اجمالية ، همها المباشر تغيير المعالم الكبيرة : في البلدان ، في المدن ، في نسب القوى وفي النظم ، الخ . . هي تكنس الناس بالالوف ، وقد كنست قرى واحياء . . وما كنسته الحرب كان منطويا على الوف المواقف والعواطف وما شاكل . وهذا هو ايضا شأن ما غيّرت الحرب كثيرا من معالمه او قليلا . .

وان اختيار الرهافة ـ لا الضخامة ولا الشدة ـ صفة لـ« عوامل » الرواية السينمائية ، يسعف في جعل هذا الفيلم عملا مضادا للحرب(*) .

(*) ليس ما سبق قراءة ملزمة للقاريء ـ المشاهد ، بطبيعة الحال . . فان قراءة يقترحها الكاتب ليست ـ في ايامنا هذه بخاصة ـ غير قراءة بين قراءات . . ففرضها ليس في طاقة الكاتب اصلا ، عدا انه ـ هنا ـ ليس من امانيه . ويعزز اعفاء القاريء من قيد هذه القراءة ان الكاتب لم يتوصل اليها الا بعد ان كتب . . فحين بدأت الكتابة ، بدأت بحوارات ومشاهد عشوائية ، لعلها تسوقني الى حبكة ما . . ولم يكن في مخيلتي الا اثر مجرد من الرغبة في كتابه الحرب بصور من « العلاقات الشخصية » او من « الحياة اليومية » او ما شاكل . . ولم اكتب هذا « التعليق » الا بعد ان كتبت ثلثي الحوار تقريبا ووضعت « ملخصا » كاملا (مسبقا) للنص كله . . ثم اعدت النظر في التعليق ، مضيفا اليه بعضا من اهم مقاطعه ، في اعقاب فراغي من كتابة النص . . لا يمكن القول اذن ـ لحسن حظي ـ ان هذا السيناريو يشبه الحرب اللبنانية نفسها كما هي في نظر بعض « المحللين » : اخراج متأخر لمؤامرة مستمرة .

(بطاقة الفيلم التقنية)

بيروت اللقاء

تمثيل

هيثم الأمين و نادين عاقوري

ومعهما (بالترتيب الألفبائي)

عبيدو باشا ، يوسف حسني ، حسن الحسيني ، جمال حمدان ، حبيب حمّود ، رأفت حيدر ، نجوى حيدر ، رينيه ديك ، أحمد الزعزع ، مهدي زعيتر ، حسام الصبّاح ، علي علويّة ، محمد كلش ، رفيق نجم . . . آخرون .

سيناريو وحوار

أحمد بيضون

مدير التصوير : شارلي فان دام و أليكسي غريفاس

مونتاج : إيليان دوبوا

مهندس الديكور : جان لوي منغي مساعد : عبد الله كحيل

مهندس الصوت : هنري موريل

إخراج

برهان علوية

إنتاج مشترك للمؤسسة العربية للإنتاج السينمائي (بيروت) والشركة التونسية للإنتاج والتوزيع السينمائي (تونس) وسينما ليبر (بروكسل)

مدير الإنتاج حسن دلدول

الفهرس

المقطع الأول

صباح الهجرتين ٧

المقطع الثاني

الرحلة ٣٧

المقطع الثالث

سهرة التسجيل ٥٩

المقطع الرابع

المطار ٨٩

المقطع الخامس

الحفلة ١٧٠

المقطع السادس

دفن حيدر ١٢١

الأشخاص والمجموعات ١٣٣

تذييل ١٣٧

بطاقة الفيلم التقنية ١٤٥